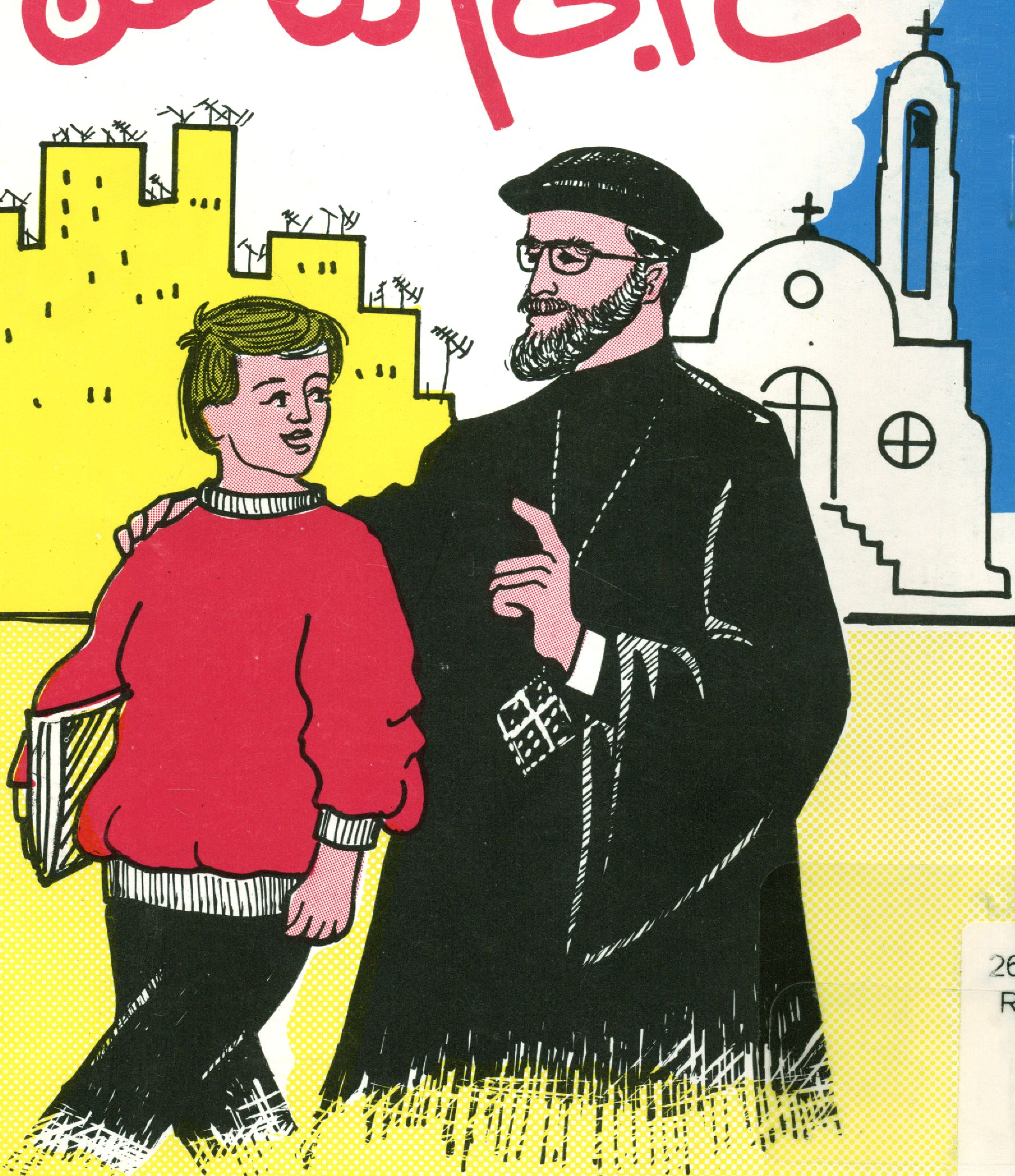
مع أبى الكاهن



جرجس رفلة

مكتبة المحبة

مع أبي الكاهن

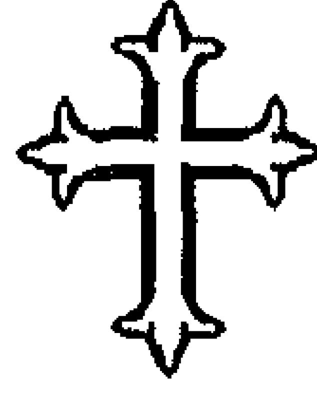
تأليف

جرجس رفلة

مكتبة المحبة



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



بسم الآب و الإبن و الروح القدس إله واحد آمين

مقدمة

أعزائى القراء . . .

بنعمة الله يصدر هذا الكتاب . . « مع أبى الكاهن » الذى يهدف إلى تقديم ثقافة دينية مبسطة ، معروضة عرضا جذابا ، إلى الشعب القبطى عامة و إلى النشء المسيحى من الفتية و الفتيات و الشبان و الشابات على وجه الخصوص .

و قد اتبعت فى كتابة هذه المقالات طريقة المحاورة ، بين فتى ذكى فى الرابعة عشرة من عمره ، - و لنسمه « مرقس » - و بين والده الكاهن الوقور الغزير العلم .

و حين يجتمع ذكاء الفتى و تشوقه للمعرفة مع سعة اطلاع الكاهن الوالد ، تنتج أحاديث طلية مفيدة ، هى التى نقدمها فى هذا الكتاب .

و لم أقصد أن يكون الكاهن - بالنسبة للفتى - أبا فى « الإعتراف » فقط ، بل افترضت أنه والده بالجسد ، لأن ذلك يتيح للمحاورات مناسبات عديدة ذات جو أكثر تحررا و تبسطا . . .

و حرصا على نقاوة المعلومات الدينية الواردة بالكتاب ، فقد عرضت أصوله على أستاذنا الكبير الدكتور وهيب عطالله ، وكيل الكلية الإكليريكية ، فتفضل بمراجعته ، و إنى أسجل هنا لسيادته شكرى العميق .

و الآن أترك « مرقس » يقدم لكم الأحاديث ، راجيا أن يحقق الله بها ما أهدف إليه من إفادة و إمتاع .

المؤلف





† ولد السيد المسيح فى مذود ملحق بفندق بيت لحم .
† وصف الفنادق القديمة السقيفة و الإيوان .
† لماذا كان الميلاد فى المذود و ليس فى الإيوان ؟
† لمذا تأخر وصول السيدة العذراء و يوسف للفندق ؟

بمناسبة اقتراب عيد الميلاد المجيد ، كان طبيعيا أن أقرأ فى الإنجيل الإصحاحات التى تصور ذلك الميلاد الإلهى الرائع ، و أن أتأمل فيها و أتفكر .

و استوقفتنى – فى الإصحاح الثانى من إنجيل معلمنا لوقا البشير – الآية الآتية :
فولدت (السيدة العذراء) إبنها . . و قمطته و أضجعته فى المذود ، إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل .

إستوقفتنى هذه الآية ، و دارت فى رأسى أفكار و أسئلة ، صارحت بها أبى الكاهن و قلت : أريد يا أبى أن آخذ فكرة واضحة عن مكان ولادة السيد المسيح ربنا ، و تلك الظروف التى أحاطت به . لقد رأيت كثيرا من الصور لكثير من الرسامين الذين يحاولون توضيح ظروف ولادة سيدنا و مخلصنا يسوع المسيح ، و لكننى لا أعرف أى هذه الصور أقرب إلى الحقيقة .

قال أبى : إن كلمة « المنزل » الموجودة فى إنجيل معلمنا لوقا يقصد بها « فندق » . لقد كان ميلاد سيدنا يسوع المسيح فى مذود ملحق بفندق مقام فى قرية « بيت لحم » . هل سمعت قبل ذلك كلمة فندق ؟

قلت : نعم . . . إن الفنادق هى المنازل التى يبيت فيها الغرباء عن البلدة و يستريحون فيها أيام مدة إقامتهم فى المدينة لقضاء أمورهم فيها ، و إنى أعرف الكثير من أسماء الفنادق الفخمة فى مدينة القاهرة .

قال أبى : من الخطأ أن تظن أن الفنادق القديمة كالفنادق الحالية روعة و فخامة . لقد كان الأمر مختلفا جدا .

قلت : إذن كيف كانت صورة فندق بيت لحم ؟

قال أبى : كان الفندق عبارة عن بناء منخفض من الحجارة غير المنحوتة ، يتألف من طابق واحد به فناء متسع مربع ، تربط فيه الماشية لضمان سلامتها ليلا .

و يحتوى الفندق أيضا على السقيفة (تندة) و هى سقف يظلل أرضا مرصوفة بالحجارة مرتفعة قدما أو قدمين عن مستوى الفناء ، و هذه الأرض المرتفعة تسمى « الإيوان » و عليها يستريح المسافرون .

قلت : هل كانت توجد سقيفة واحدة فى الفندق ؟

قال أبى : سقيفة واحدة فى حالة الفنادق الصغيرة ، أما الفنادق الكبيرة ، فالواحد منها يحتوى على الكثير من السقيفات ، أى ما يشابه غرفا صغيرة بغير حائط أمامى ، و لذا فإن كل شئ فى الفندق منظور و مكشوف . و كل ما يجرى فيه يراه جميع المقيمين به . و هو – عادة – خال من الأثاث حتى الضرورى . و قد يحضر المسافر معه سجادته الخاصة ، يتربع عليها وقت الغذاء أو يفترشها أثناء النوم .

قلت : ألم هناك خدم للفندق ؟

قال أبى : لا ، بل كان المسافر يتولى بنفسه أمر طعامه و يعتنى بماشيته ، و يستقى من « العين » المجاورة .

قلت : لقدكانت تلك الفنادق لا تتوفر فيها الراحة الكاملة .

قال أبى : نعم . . . و لذلك كان روادها يدفعون أجرا يسيرا مقابل السقف الذى يأويهم، و المكان الذى يحتويهم، و الأمان الذى يتمتعون به .

قلت : و لكن لماذا ولد السيد المسيح فى المذود ، لماذا لم يولد تحت السقيفة ؟

قال أبى : الظاهر أن السيدة العذراء و يوسف النجار قد وصلا إلى فندق بيت لحم متأخرين ، بعد أن كانت « الإيوانات » قد احتلت بمسافرين آخرين سبقوهما .

و المسافر الذى يأتى متأخرا كان عليه أن يسلم بالأمر الواقع فيكتفى بركن من الفناء القذر ، تشاركه فيه الخيل و الجمال و البغال ، و يجتهد فى تنظيفه بقدر استطاعته . و كان على المسافر عند ذلك أن ضيق المكان ، و رائحة الحيوانات المزاحمة ، و القش الذى يوضع تحتها ، و حضور الكلاب البرية متطفلة تلتمس طعاما و أمانا .

و عليه أن يحتمل أيضا مجاورة أفراد الطبقات الوضيعة ممن يصحبون القوافل .

قلت : و لماذا تأخرت العذراء و يوسف النجار يا ترى ؟

قال أبى : أنت تعرف أن طرق المواصلات السريعة لم تكن قد عرفت، و أن السفر قديما كان بطيئا و على مهل . و لا شك أن التعب الشديد و ربما أيضا الآلام التى كانت تعانيها السيدة العذراء خصوصا ، لأنها كانت

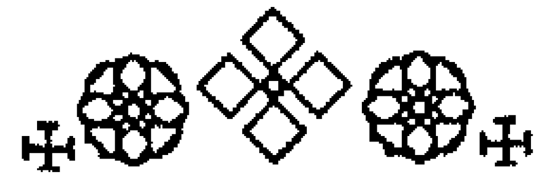
على وشك ولادة السيد المسيح ، هذه الآلام جعلت العذراء و خطيبها يتأخران عن المزاملين و المسافرين معهما .

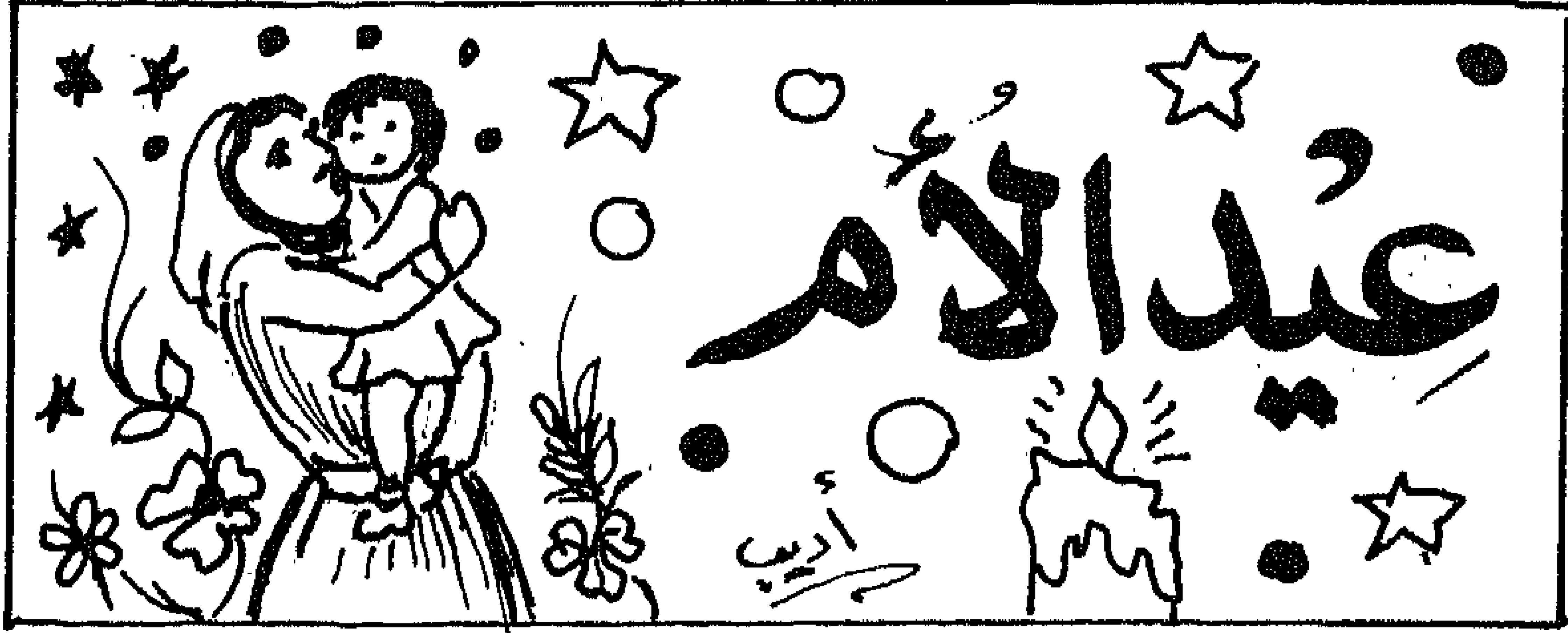
قلت : و لماذا ياترى كان هناك ذلك الإزدحام الشديد و الإقبال على فندق بيت لحم ؟

قال أبى : ألم تقرأ فى الكتاب المقدس أنه كان هناك «إكتتاب» فى ذلك الوقت ؟ لقد كانت هناك أوامر أن يذهب كل شخص ليسجل إسمه فى البلدة التى ينتمى إليها أجداده . و لما كانت السيدة العذراء و يوسف النجار قد نشأ جدهما « داود النبى » فى بيت لحم ، فلزم أن يسجلا إسميهما هناك .

قلت : شكرا يا أبى . لقد بدأت الآن أكون فكرة واضحة عن مكان ولادة السيد المسيح إلهنا ، و لكن عندى سؤال أخير : هل يمكن أن يكون الفندق منحوتا داخل مغارة كما نشاهد فى بعض الصور الآن ؟

قال أبى : نعم .. هذا ممكن . و الظاهر أن هذال هو ما كان حاصلا بالفعل فى بيت لحم ، فهناك اعتقاد عند جميع الكنائس الشرقية و الغربية أن الفندق الذى ولد السيد المسيح فى مذوده كان فى مغارة فى الصخر الجيرى ... و فوق هذه المغارة شيدت كنيسة الميلاد .. حيث وضعت نجمة فضية مطعمة فى الرخام الأبيض و حواليها ستة عشر قنديلا تضئ ليلا و نهارا ، و محاطة بكتابة لاتينية ترجمتها « هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم » .





† لا يوجد مخلوق يحبك محبة أمك لك .
† أم « أديسون » كانت مدرسته الوحيدة !
† أم « القديس أوغسطينوس » صلت من أجله بدموع .
† هل جعلت للأيتام مكانا فى برنامجك يوم عيد الأم ؟

إقترب « عيد الأم » الذى تحتفل به مصر و جاراتها فى أول أيام الربيع ٢١ مارس المقبل .. و دار بين أبى الكاهن و بينى بهذه المناسبة حديث عن الأم . . . بدأه أبى بقوله : (و قد رآنى مطرقا مفكرا) .

- خيرا . . . فيما تفكر ؟

قلت : فى الهدية التى سوف أقدمها لوالدتى العزيزة فى عيد الأم .. إن الأيام تمر بسرعة . . و يجب أن أستعد له من الآن .

قال أبى الكاهن : جميل جدا أن تكون المحبة متبادلة بين الإبن و أمه . . أتعرف يا ولدى أن حب الأم لأبنائها حب ممتاز . . لا يكاد يماثله حب فى هذه الدنيا ؟

قلت : و كيف ذلك ؟

قال أبى : لا يوجد مخلوق يحبك مثل حب أمك لك . . مهما كنت

مرتبطا به بأوثق العلاقات .. إن أقرب أقربائك و أخلص أصدقائك لن يحبك أحد منهم محبة أمك لك .

قلت : نعم يا أبى .. نعم .. ما أكثر القصص الواقعية التى سمعناها و رأيناها تؤيد هذه الحقيقة ! إن محبة الأم لأبنائها نوع ممتاز من الحب .. ما أكثر الأمهات اللاتى يفضلن مصلحة أبنائهن على مصلحتهن الخاصة .

قال أبى : و الكتاب المقدس يوضح هذا بجلاء ، قال سليمان الحكيم: « الإبن الحكيم يسرّ أباه و الإبن الجاهل حزن أمه » (أم ١٠ : ١) .

فكأن الحزن لجهالة الإبن الشرير إنما يكون من نصيب الأم .. و السرور لنجاح الإبن المفلح إنما يكون من نصيب الأب !!

لا يوجد مثل أمك من يفرح لفرحك ، و يحزن لحزنك ، و يهتم باهتمامك .

قد يعرض عنك الكثيرون من المقربين إليك إذا حلت بك الكوارث .. أما الأم فإن ضيقك يزيدها حبا لك و عطفا عليك .

إذا مرضت مرض قلبها ، و انشغل بالها ، و حلا لها أن تسهر بجوارك ناسية صحتها و راحتها و جميع مشغولياتها .. و إذا رسبت فى الإمتحان ، فمن ذا يشعر بالخطر عليك مثلها ، و من يحثك على العمل بحنان و رفق - كما تحثك و تدفعك ؟!! و من يعزيك عند فشلك مثل تعزيتها . ما أجمل الآية التى قالها الرب فى أشعياء النبى : « كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا .. » (أش ٦٦ : ١٣) .

قلت : لقد قرأت يا أبى عن « أديسون » صاحب المخترعات التى يصعب عدّها . إن المدرسة طردته و هو صغير بحجة أنه لا يصلح لأن يكون تلميذا منتظما !! فكانت أمه مَدْرسته .. تعهدته فى صبر عجيب

حتى انحلت عقدته ، و ظهرت عبقريته ، و نضج عقله و أنتج أطيب الثمرات .

و من الخطأ أن ننسب إلى أديسون وحده الفضل فى الإكتشافات و الإختراعات التى وفقه الله إليها . . إنما يجب أن نذكر تلك الأم الخالدة .

قال أبى : و هل سمعت يا إبنى عن « القديس أوغسطينوس » الفيلسوف صاحب الشهرة العظيمة ؟ لعلك تعرف أنه كان فى أول حياته مستهترا مستبيحا ، لا يرعى أمانة و لا عهدا ، و لا يتورع عن ارتكاب أقبح الرذائل ، فكانت أمه تبك بحرقة إذ ترى حاله . . كانت دموع الأم تسيل مدرارا ليلا و نهارا رثاء و إشفاقا على ولدها ، و ابتهالا إلى الله أن يصلحه . . لدرجة أن راعى الكنيسة حين استخبر سر ذلك البكاء قال إن هذه الدموع لن تضيع هباءا ، لا بد أن تستجاب و تثمر . . . و فعلا إستجاب الله صلاة دموع الأم ، و تغير أوغسطينوس تغيرا شاملا ، و أصبح قديسا كبيرا ، و واعظا قديرا ، و مفكرا ممتازا لا تزال تدرس مؤلفاته و « إعترافاته » فى أرقى الجامعات .

قلت : ما أحلى هذه الحقائق يا أبى . . ما أجمل هذا الحب . . إن « الأم » نعمة كبرى للعالم كله . لولاها لكانت الدنيا كصحراء جرداء لا حس فيها و لا حياة .

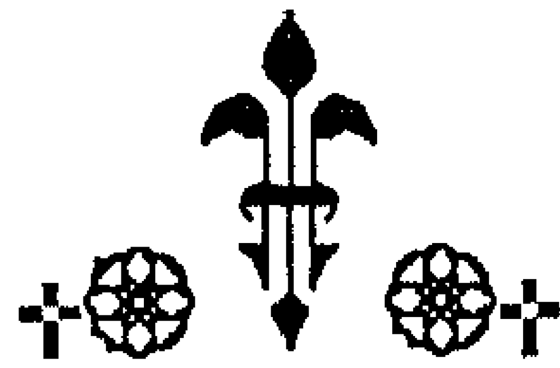
أعرف زميلا فى فصلى توفيت والدته منذ سنوات ، و قد ظهر أثر غيابها واضحا على صحته و مظهره ، و كافة أحواله . . . إنى أصلى لأجله لكى يعطيه الله صبرا .

قال أبى : هذا شعور جميل يا ولدى . . . و لأتركك الآن لتفكر فى الهدية التى تقدمها إلى والدتك . . . غير أنى أريد أن أقول لك كلمة : « ما دمت تشعر بمقدار حرمان مَن قد انتقلت أمهاتهم عنهم ، فيجب أن تجعل للأيتام نصيبا فى برنامجك فى « عيد الأم » - يجب أن تذكرهم أن

الله وضع الحب فى قلوبنا من نحوهم لنسد جزءا من الفراغ الذى تركته أمهاتهم .

ألا ترى معى أن هذا أمر مهم ؟

قلت : بلى . إنه أمر هام لم أفكر فيه من قبل . . . فشكرا يا أبى لأنك ذكرتنى به . و أرجو من الله أن يساعدنى على تحقيقه .





† شراء العروس بالمال و بالخدمة .

† زينة العريس و العروس .

† من هم « بنو العرس » ؟

† من هو « صديق العريس » ؟

† ما هو « لباس العرس » و لماذا عوقب الرجل الذى لم يلبسه ؟

فى نهاية الشارع الذى فيه منزلنا الريفى ، كان هناك عرس (فرح) فى بيت أحد الفلاحين . و كان القوم فى تلك الليلة الصيفية فى هرج و مرج ، يغنون و يرقصون ، و يطبلون و يزمرون . و كانت تصل هذه الأصوات الشجية إلى آذاننا ، و تتردد فى الحقول الواسعة الممتدة حول القرية . و كانت فرصة مناسبة لنتحدث - كما هى العادة - حديثا دينيا مفيدا . . .

وصلت إلى آذاننا أغنية ريفية مطلعها : « اللى معاه مال جهز و اشترى غالى » و معنى الأغنية أن « العريس » لأنه مقتدر و ذو مال كثير فقد (اشترى) عروسا غالية أصيلة !!

و قال أبى : معلقا على كلمة « إشترى » . إن الزواج ليس عملية بيع و شراء ، و لكنه عندنا نحن المسيحيين إتحاد مقدس بين اثنين للتعاون لتربية النشء الجديد .

إن فكرة « شراء العروس » فكرة قديمة ، و لم يكن الشراء بالمال فقط بل بالخدمة أيضا . . .

قلت : كيف كان يمكن شراء العروس بالخدمة ؟

قال أبى : هناك أمثلة كثيرة لذلك ، منها يعقوب أب الآباء الذى خدم خاله لابان سبع سنوات فزوجه ابنته ليئة ، ثم خدمه سبع سنوات أخر فزوجه ابنته راحيل (تك ٢٩) . و كذلك يوسف الصديق حين زوجه فرعون بنت فوطى فارع المدعوة « إسنات » (تك ٤١:٤٥) و كذلك موسى النبى حين زوجه كاهن مديان إبنته صفورة (خر ٢ : ٢١) .

قلت : إن ضجة (الفرح) المجاور قد بلغت درجة مقلقة للراحة . و لا عجب ، فقد دعا أصحاب العرس كثيرين من الجيران و المعارف و الأقرباء .

قال أبى : إن هذا يا ولدى - ليس شيئا غريبا و لا جديدا ، بل إن الولائم (جمع وليمة آى « عزومة ») كانت أحيانا تدوم إلى سبعة أيام . . . و كم من مرة نقرأ فى الكتاب المقدس عن الدعوات إلى أعراس (أفراح) . السيد المسيح نفسه - له المجد - دعى مع تلاميذه إلى عرس فى « قانا الجليل » و قبل الدعوة (يو ٢ : ١ - ١٠) . و أمثال الفادى فيها إشارة إلى هذا : « يشبه ملكوت السموات إنسانا ملكا صنع عرس لإبنه و أرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس . . . إلخ » (مت ٢٢ : ١ - ١٠) ، و فى مثل العذارى الحكيمات و العذارى الجاهلات إشارة إلى الأنوار البهية التى توجد فى الأعراس (مت ٢٥) . و إشار الرب إلى أن المدعو لا يجب أن يتخذ لجلوسه الكراسى الأمامية لئلا يضطر لتركها خجلا حين يأتى من هو أكرم منه (لو ١٤ : ١ - ١١) .

و هنا سمعنا فى الشارع بجوار منزلنا أصوات زغاريد كثيرة و تهليل عظيم ، لقد كان موكب العروس فى طريقه إلى بيت العريس .

قال أبى : كان قديما - فى يوم العرس - يدهن العريس بزيت عطري ، و فى هذا يقول داود النبى : « ... مسحك الله بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك ... » (مز ٤٥ : ٧) . و كان العريس يلبس حلة العرس البهية و عمامة ، و فى هذا يقول أشعياء النبى فى نبوته المبشرة بمجئ السيد المسيح مخلصا ، يقول النبى على لسان كل مؤمن « ... تبتهج نفسى بالرب لأنه ألبسنى ثياب الخلاص . كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة و مثل عروس تتزين بحليها » (أش ٦١ : ١٠) . و كان مع العريس يوجد أصدقاؤه « بنو العرس » ...

و كانت العروس أيضا تدهن بالأطياب و تزدان بالجواهر و الأكاليل و تحاط بالعذارى صاحباتها و يوضع على وجهها البرقع .

قلت : لقد ذكرتنى كلمة « بنو العرس » التى قلتها الآن يا أبى بالآية التى قالها السيد المسيح لليهود : « هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم . و لكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » (مت ٩ : ١٥) .

قال أبى : إن كلمة العريس هنا - كما تعرف - تدل على السيد المسيح . و بنو العرس هم التلاميذ . و لذلك فقد صام الرسل بعد أن ارتفع السيد المسيح عنهم صاعدا إلى السماء . و كان هذا مبدأ صوم الرسل الذى لا تزال الكنيسة تصومه إلى يومنا هذا .

قلت : قرأت فى إنجيل القديس يوحنا قوله : « من له العروس فهو العريس . و أما صديق العريس الذى يقف و يسمعه يفرح فرحا من أجل صوت العريس.. » (يو ٣ : ٢٩) . من هو « صديق العريس » هذا ؟

قال أبى : كانت البنت المخطوبة تبقى مدة فى بيت أبيها إلى أن تحين ليلة العرس . و فى تلك المدة كانت المخابرة بينها و بين خطيبها تتم بواسطة « صديق العريس » . فالقديس يوحنا يقصد أنه لا يريد أن

يلتف الناس حوله و يتعلقوا به ، بل بالسيد المسيح الذى يفرح بالمؤمنين به مثل فرح العريس بعروسه ، و ليس يوحنا إلا واسطة لجذب الناس إلى المسيح كما كان صديق العريس مجرد واسطة بين العريس و عروسه . . .

قلت : صحيح . . . إن الله يفرح بالمؤمن الآتى إليه كفرح العريس بعروسه . قرأت مرة فى الكتاب المقدس الآية التى كتبها بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس قال : « . . . لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١:٢) .

قال أبى : ليتنا يا ولدى نفكر فى هذا الحب العظيم . و نقبل إلى الله منتهزين الفرصة ، مبادلين إلهنا محبة بمحبة .

قلت : تذكرت الآن سؤالا كان بودى أن أقوله من زمان . قرأت فى إنجيل معلمنا متى البشير قصة الملك الذى عمل العرس و دعا إليه أناسا كثيرين . و لما دخل الملك لينظر الموجودين رأى واحدا لم يكن لابسا لباس العرس ، فطرده شر طردة . ما هو لباس العرس هذا ؟

قال أبى : فى حفلات الأفراح التى كان يقيمها الشرفاء و الملوك ، كان العريس يعطى لكل مدعو ثوبا يسمى « ثوب العرس » فإذا لم يلبسه المدعو ، عُدَّ ذلك من باب الإهانة للعريس . . .

قلت : فهمت الآن . و لكن ما معنى أن يأمر الملك بربط يدى و رجلى ذلك الشخص ثم إلقائه فى الظلمة الخارجية ؟

قال أبى : إليك يا إبنى تفسير المثل كله باختصار . أراد المسيح أن يوضح لرؤساء اليهود أنه – له المجد – جاء إليهم ليغير حياتهم التعسة إلى حياة سعيدة بالإيمان به . لكنهم تهاونوا ، فوجهت الدعوة بعد ذلك إلى الجميع . و الشخص الذى اندس بين المدعوين دون أن يلبس لباس العرس يشير إلى رؤساء اليهود الذين تظاهروا بقبول السيد دون أن يكون فى قلوبهم الحب لشخصه الكريم . فالرب أراهم فى المثل أن نهايتهم فى الآخرة

ستكون هكذا : سيربطهم الخدام (الملائكة) و يلقونهم بعيدا عنه فى الظلمة الخارجية . بينما يتمتع المحبون بالسعادة الأبدية .

قلت : الرب يجعل السعادة الأبدية من نصيبنا .

قال أبى : آمين . آمين . . .





† الإجتماع الذى يعقد بإسم المسيح و يكون المسيح حالا فيه ، يكون مكانا للسلام و المحبة .
† و الموجودون فيه تغطيهم البركة من الرأس إلى القدم ، و تملأ كل واحد منهم .
† أهمية حضور اجتماعات الصلاة ، و القداسات و اجتماعات درس الكتاب المقدس .

كنت أتأمل فى المزمور القائل : « هو ذا ما أحسن و ما أحلى أن يسكن الإخوة معا ، مثل الدهن الطيب النازل على الرأس . النازل على اللحية ، لحية هارون النازلة إلى طرف ثيابه . مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون. لأن هناك أمر الرب بالبركة و الحياة إلى الأبد ». هليلويا .

و استوقفتنى العبارة الأخيرة الرائعة : « لأن هناك أمر الرب بالبركة و الحياة إلى الأبد » و قلت فى نفسى : يا لها من نعمة عظمى « البركة و الحياة إلى الأبد » إن هذا غاية ما يتمناه كل إنسان .

و لكنى حاولت أن أربط العبارة بالعبارات السابقة لها فلم أعرف . . . و لم أفهم العلاقة بين سكنى الإخوة معا و بين الطيب النازل على لحية هارون و بين ندى حرمون المنحدر على جبل صهيون .

و ظهر المزمور أمامى مغلقا غير مفهوم، فسارعت إلى أبى الكاهن.

و سألته : ما معنى « هو ذا ما أحسن و ما أحلى أن يسكن الإخوة معا ، مثل الدهن الطيب النازل على الرأس » ؟

فقال أبى : إن معنى ذلك أن الله يحب أن ينزل بركاته على الذين يقفون معا فى اجتماع واحد . أو يسكنون معا فى بيت واحد بحيث يكونون ذاكرين الله فى تقوى و قداسة .

فقلت : و لماذا يقول « مثل الدهن الطيب النازل على الرأس » ؟!

فأجاب أبى : أنت تعرف الآية القائلة : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » .

قلت : نعم . . .

قال أبى : إن هذه الآية تبين أن الله يحب اجتماع الناس بإسمه أى للصلاة و درس كلمته . فيأتى و يحل معهم . فما رأيك فى اجتماع مثل هذا يعمله أفراد عائلة واحدة كل يوم ، مع بعضهم فى المنزل ؟ و ما رأيك فى اجتماع للصلاة يعقد بالكنيسة ؟ و ما رأيك فى أن صديقين يصليان معا قبل البدء فى أى مشروع ؟ ما رأيك فى جماعة من المسيحيين الحقيقيين يجلسون بهدوء للتفكر فى آيات كتاب الله . . . ؟!

فقلت : إن الله يحل وسط كل هؤلاء .

قال أبى : و أين يكون الشيطان بالنسبة لكل هؤلاء ؟

فقلت : لا يكون للشيطان مكان بينهم . يا أبى – إنى أحفظ آية تقول : « و أى اتفاق للمسيح مع بليعال » .

قال : حسن جدا . . . و هل يمكن أن يكون هناك خصام أو حسد بين أفراد هذه الجماعات ؟!

قلت : لا أظن ذلك . لأنهم يقولون : « إغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا » .

قال أبى : هذا صحيح . فالإجتماع الذى يعقد بإسم المسيح و يكون المسيح حالا فيه ، يكون مكانا للسلام و الوداعة و الهدوء و المحبة .

قلت : و لكنى لا زلت أجهل العلاقة بين هذه الإجتماعات و بين « الطيب النازل على الرأس ، النازل على اللحية ، لحية هرون ، النازلة إلى طرف ثيابه » !!

قال أبى : لما أقام الله هرون أخا موسى كاهنا ، أمر الله موسى أن يمسح هرون بدهن مقدس له رائحة طيبة ، و يصب منه على رأسه . فأين تظن نزل هذا الزيت المنصب على رأس هرون ؟

قلت : أين يكون ؟ هل نزل على كتفه ؟

قال أبى : كان شعر رأس هرون متصلا بشعر ذقنه طبعا ... و كان شعر ذقن هرون طويلا جدا ، حتى أنه كان يصل إلى طرف ثيابه . إذن فالدهن الذى ينزل على الرأس ، الذى ينزل على اللحية النازلة على طرف الثياب ، يغطى الإنسان من رأسه إلى قدمه . و هذه هى البركة التى يسكبها الله على أولاده الذين يجتمعون معا بإسمه . تغطيهم البركة من الرأس إلى القدم . و كما كان الدهن يفيض على كل الشعر ، هكذا تفيض البركة على رأس كل فرد جالس فى الإجتماع .

قلت : فهمت . و لكن ما معنى : « مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون » ؟

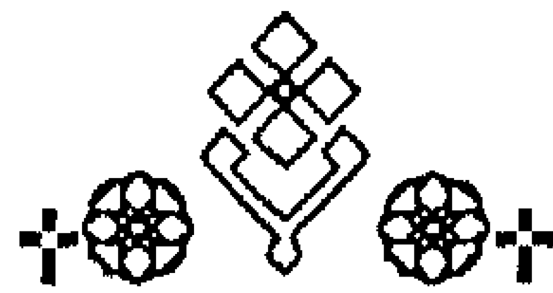
قال أبى : حين ينزل الندى على الجبل ، ماذا يغطى ؟

قلت : يغطى الأرض و الشجر و الحجر و الزلط .

قال أبى : يغطى كل ورقة فى الشجر ، و كل قطعة زلط على الأرض ، و كل شئ على الجبل . و هكذا بركة الله التى تحل على الناس المجتمعين بإسمه فى مكان واحد ، تغطيهم جميعا ، و تملأ كل واحد منهم . و لهذا يختم المزمور قائلا : « لأن هناك أمر الرب بالبركة و الحياة إلى الأبد » .

قلت : أشكرك جدا يا أبى ... لقد اتضح المزمور كله أمامى الآن . حقا إن الإجتماعات بإسم السيد المسيح مفيدة جدا . . . و لكن ما رأيك يا أبى أن هناك عائلات كثيرة لا تعمل هذه الإجتماعات اليومية ؟ لا يصلون معا و لا يتأملون معا فى الكتاب المقدس ؟ و أن هناك أفرادا كثيرين لا يفكرون فى اجتماعات للصلاةلحل مشاكلهم المشتركة ، و إنجاح مشاريعهم ؟ و ما رأيك يا أبى فى الذين لا يحضرون القداس ، بل يرضون ضمائرهم بسماع القداس من الراديو دون أن يجتمعوا معا فى بيت الرب ؟ ما رأيك يا أبى أن هناك ممن أعرفهم من لا يحضرون اجتماعات الصلاة و درس الكتاب المقدس - تلك الإجتماعات التى تعقد أسبوعيا بانتظام فى الكنيسة ؟

قال أبى : إن هؤلاء جميعا - مع الأسف - محرومون من بركة الإجتماعات الروحية . فلنصلِّ لأجلهم . و لعلهم ، حين يقرأون حديثنا اليوم ، يرجعون للصواب فيتمتعون بنعمة وعد الله الكريم : البركة . . و الحياة . . إلى الأبد .





† لماذا نكرر كلمة « كيرياليسون » فى صلواتنا ؟
† لماذا نرددها ٤١ مرة أحيانا ؟
† كلمة كيرياليسون (يا رب ارحم) تستدر عطف الله .
† لماذا يتلوها الكهنة فى أول الصلوات و يتلوها الشعب فى نهاية الصلوات ؟
† لماذا تردد الكنيسة كلمة كيرياليسون ..٤٠ مرة يوم الجمعة الكبيرة ؟
† علاج « للسرحان » الذى قد يحصل عند تلاوة كيرياليسون ٤١ مرة .

ما أكثر الأوقات التى أكرر فيها كلمة « كيرياليسون » ٤١ مرة .. فى صلوات الكنيسة عند مبدأ القداسات و فى صلوات الأجبية فى مدارس الأحد و الصلوات الخاصة .. و لكنى لاحظت أننى أحيانا (أسرح) بتفكيرى فى وقت تلاوة هذه الصلاة . و كاشفت أبى الكاهن بملحوظتى .

ثم قلت : ما الداعى لتكرار هذه الكلمة هذه المرات الكثيرة ؟ و ما الداعى أن يكون العدد هو ٤١ بالذات ؟

قال أبى : إن هذا العدد يذكرنا بآلام السيد المسيح له المجد .

قلت : كيف ؟

قال أبى : إن السيد المسيح جلد - حسب القانون الرومانى - ٣٩ جلدة .. و هذا واضح مما كتبه القديس بولس فى رسالته الثانية إلى كورنثوس : « جلد أربعين جلدة إلا واحدة » (٢ كو ١١:٢٤) ثم ضرب السيد المسيح بالقصبة فى رأسه مرة واحدة (مت ٢٧:٣٠) ثم طعن بالحربة مرة واحدة فى جنبه المقدس (يو ١٩ : ٣٤). فالمجموع ٤١ كما ترى .

قلت : يا له من تفسير دقيق . ليتنى أتذكره باستمرار عند تلاوة هذه الصلاة . و لكنى - أثناء قراءة الكتاب المقدس - قرأت قول السيد المسيح فى العظة على الجبل : « و حينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم . فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم » (مت ٦ : ٧). فلماذا نكرر نحن هذه الكلمة ٤١ مرة ؟

قال أبى : إفهم يا عزيزى كلمة « باطلا» إن معناها : « بلا فائدة » فالسيد المسيح يمنعنا عن التكرار غير النافع . أما التكرار النافع فلا مانع منه .. فالوثنيون فى أيام إيليا النبى « ... دعوا بإسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين يا بعل أجبنا . فلم يكن صوت و لا مجيب » (سفر الملوك الأول ١٨ : ٢٦) بينما إيليا النبى بصلاة قصيرة جدا لم تتعد الدقائق . أسقط نار الرب من السماء و التهمت الذبيحة . و اليهود أنفسهم لم يكونوا خالين مما يقرب من اعتقاد الوثنيين . فإنهم كانوا قد وضعوا صلوات كثيرة و رتبوا على مجرد النطق بها قبول دعواتهم . و لليهود كتاب محترم عندهم إسمه « التلمود » و فيه ذكر المبدأ القائل : « إن الذى يصلى كثيرا يستجاب له » ...

و آية السيد المسيح « حينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا » يقصد فيها بالكلام الباطل باللغة اليونانية « فاطولوچيا » أى التمتمة و الهذيان أثناء التكلم ، أو الكلام قليل الفائدة .

قلت : و كيف يمكن أن يكون تكرار الصلاة مفيدا ؟

قال أبى : إن تكرار الصلاة - و خصوصا صلاة طلب الرحمة

(كيرياليسون) - يدل على التذلل و الخضوع و انسحاق القلب ، و هذا شئ يسر الله و يطالبنا به الله .

و ما هو معنى « اللجاجة فى الصلاة » إلا الإلحاح بتكرار طلب عزيز تشتهيه النفس ؟ و الرب يطالبنا باللجاجة لنثبت أننا نصلى من أعماق قلوبنا صلاة جدية ليست باللسان فقط .

ألا تتذكر أن السيد المسيح حين كان يعلمنا كيف تكون الصلاة وقت الضيقات - و هو فى بستان چثسيمانى - ردد صلاة واحدة ثلاث مرات متوالية . إنه - له المجد - يعلمنا اللجاجة و الثبات عند طلب الأمور المقدسة .

ثم إن كلمة « يا رب ارحم » بالذات مثيرة لعواطف الرحمة الإلهية . و ما أكثر الذين قالوها للسيد المسيح فنالوا بها طلبتهم .

قلت : مثل من ؟

قال أبى : مثل الرجلين الأعميين اللذين تبعا السيد المسيح صارخين قائلين : « إرحمنا يا ابن داود » (مت ٩ : ٢٧) و مثل المرأة الكنعانية التى قالت للسيد : « إرحمنى يا سيد يا ابن داود » (مت ١٥ : ٢٢) و مثل الأعمى بارتيماوس الذى كان يصرخ للسيد عند خروجه من بلدة أريحا قائلا : « يا يسوع ابن داود ارحمنى » (مر ١٠ : ٤٨) .

قلت : صحيح أنها كلمة مؤثرة . إذا قالها تلميذ لمعلمه أو خادم لسيده فكثيرا ما يلين قلبه . و قلب الله طبعا أرق القلوب .

قال أبى : إن الأمثلة على تأثير هذه الكلمة ليس من التاريخ البعيد فقط بل من التاريخ القريب أيضا . . أسمعت عن حادث نقل جبل المقطم ؟

قلت : نعم سمعت . حين حاول أحد حكام الدولة الفاطمية أن يحرج

المسيحيين بمطالبتهم بنقل الجبل تحقيقا للآية التى قالها السيد المسيح له المجد : « ليكن لكم إيمان بالله . لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل و انطرح فى البحر و لا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » (مر ١١ : ٢٣) . فخرج الأنبا ابرآم بن زرعه البابا الـ ٦٢ مع سمعان الخراز و بقية الكهنة و الشعب يصلون عند الجبل .

قال أبى : كانت كلمة « كيرياليسون » هى العبارة المتكررة فى تلك الصلاة . الصلاة التى نقلت الجبل و هزت قلوب الحكام و الوزراء . أرأيت فاعلية هذه الكلمة ؟ ما أكثر القديسين الذين رددوها فى صلواتهم . و ما أشد حرص الكنيسة على استعمالها . ما أكثر الطلبات التى يرددها الكاهن فى الهيكل و يأمرنا الشماس بتأديتها فلا يكون جواب الشعب إلا « كيرياليسون » يا رب ارحم .

قلت : لاحظت - بهذه المناسبة - أن كلمة كيرياليسون يتلوها الكهنة فى أول الصلوات ، و أما الشعب فيتلوها - كما قلت لى الآن يا أبى - فى نهاية الصلوات . فما هى الحكمة فى هذا يا ترى ؟

قال أبى : إن الله تعالى هو مصدر الرحمة و بدون معونته لا نستطيع أن نفعل شيئا . و لذلك فعندما يرفع الكاهن الصلاة لله يعلن على الشعب ضرورة طلب رحمة الله ليرضى عنهم و يجيب صلواتهم . و تكون إجابة الشعب « يا رب ارحم » تصديقا على دعوة الكاهن و رضاء بها .

على أن صراخنا إلى الله لطلب الرحمة ليس كطلب المرأة الكنعانية و لا الأعمى ، بل كأبناء يستعطفون أباهم . و إذا كان السادة يرحمون عبيدهم الطالبين الرحمة - كما قلت الآن - فكم يكون عطف الأب حين يقول له إبنه « إرحمنى يا أبى » . . .

قلت : و لماذا تردد الكنيسة عبارة « كيرياليسون » . ٤٠ مرة فى نهاية الصلاة يوم « الجمعة الكبيرة » ؟

قال أبى : أولا ليتنبه الشعب إلى أن الله تعالى موجود فى كل مكان . فكما أننا نتجه إلى الشرق فى صلواتنا و عند بناء كنائسنا - لأسباب كثيرة - فلا مانع أن نصلى فى تلك الفرصة متجهين إلى الشرق ثم إلى الغرب فالشمال فالجنوب لنستمطر مراحم الرب على العالم بأسره فى جهاته الأربع . ثانيا : إن يوم الجمعة فرصة عظيمة للتوبة و طلب الخلاص من الخطايا التى بسببها صلب الرب يسوع ، و غمر ببره كل العالمين .

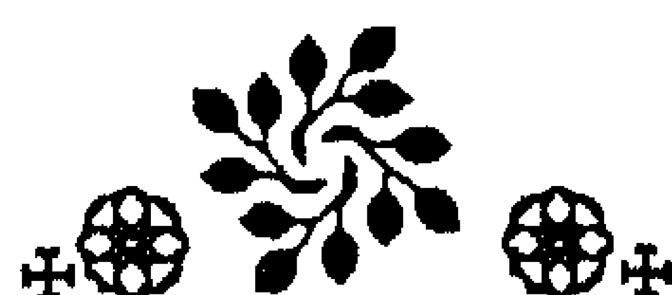
و هناك أمر مهم : إننا - عموما - حين نقول يا رب ارحم ، لا نطلب الرحمة لنفوسنا فقط بل لمعارفنا و لأحبائنا و لجميع الناس - بل لأعدائنا أيضا حتى ينبههم الرب من غفلتهم و يرجعهم إلى الطريق الصحيح حيث لا عداوة و لا عراك .

قلت : و الآن أريد علاجا (للسرحان) الذى يحصل لى أحيانا عند تلاوة كيرياليسون ٤١ مرة .

قال أبى : يجب أن تتذكر أثناء تلك التلاوة الحكمة التى بسببها وضعت الكنيسة هذه الصلاة ، و هى تذكر آلام الرب يسوع .

ثم يمكنك أن تذكر مشكلاتك و متاعبك و خطاياك ، و فى كل مرة تقول فيها « يا رب ارحم » يكون فى ذهنك و فكرك إحدى تلك المشكلات التى تطلب لها حلا ، أو المتاعب التى تطلب لها علاجا ، أو الخطايا التى تطلب عنها صفحا و منها خلاصا . أعتقد أن هذه طريقة لا تجعل للسرحان أى مجال . . و قد جرّبت و نجحت .

قلت : شكرا يا أبى . . . لا حرمنى الله من إرشاداتك و عنايتك .





† هل كان من حق الشخص أن يأكل من أى شجرة تين تقابله ؟

† ألم يكن هناك أمل فى أن تثمر تلك التينة ؟

† لماذا لعنها السيد: رمز لهلاك غير التائبين - تحذير للمرائين - دعوة لقوة الإيمان ؟

قرأت فى إنجيل معلمنا متى البشير قصة قصيرة هى قصة التينة غير المثمرة « و فى الصباح إذ كان (السيد المسيح له المجد) راجعا إلى المدينة . . جاع . فنظر شجرة تين على الطريق و جاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال ، فأجاب يسوع و قال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان و لا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضا لهذا لهذا الجبل انتقل و انطرح فى البحر فيكون . و كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١:١٨-٢٢) .

قرأت هذه القصة العجيبة و أحسست أن فيها كثيرا من الأمور الغامضة علىّ . .

هل من حق الشخص أن يأكل من أى شجرة تين تقابله ؟ ألم يكن السيد المسيح يعلم أن التينة ليست ذات ثمر ؟ و لماذا لعنها ؟

و وجدتنى مندفعا إلى أبى الكاهن و بيدى الإنجيل و قلت السؤال الأول : هل كان من حق الشخص أن يأكل من أى شجرة تين تقابله ؟!

فقال أبى : نعم .. كان الثمر المنعش فى الأشجار المزروعة على جانبى الطريق ملكا مشاعا للجميع ، فليس من التعدى أن يلتمس فيها السيد المسيح ثمرا .

قلت : و هل من الضرورى أن يكون هناك ثمر فى كل شجرة تين مورقة ؟

قال أبى : نعم .. إن ثمر التين ينضج دائما قبل تفتح الأوراق . و ما دامت تلك التينة التى ذكرت فى الكتاب المقدس قد ظهرت ذات أوراق كثيرة ، كان من الطبيعى أن يستنتج أنها محملة بثمر أكثر من المعتاد .

قلت : و لماذا لعنها السيد المسيح له المجد ؟

قال أبى : لقد كانت الشجرة عاقرا . لها منظر جذاب و لكنها لا ثمرا .

قلت : ألا يجوز أن يكون ثمرها قد قطف ؟ و أن الفرصة أمامها فى الموسم التالى ؟

قال أبى : لا .. لم يكن هناك أمل فيها مطلقا .. لأنها لو كانت أثمرت فى عامها الماضى لبقى عليها شئ من « الكرموز » (أى الثمر المتأخر البنفسجى اللون و هو التين الخريفى الذى يظل على الشجرة طول الشتاء و إلى أن تخضر أوراق الربيع الجديدة) و لو كانت قد أثمرت فى تلك السنة لكانت « الباكورة » (أى الثمار الأولى الناضجة) قد ظهرت .

إن وجود الأوراق معناه وجود شئ من الثمر . فما دام الثمر غير موجود ، فهذا دليل على أن الشجرة عاقر . لم تنتج و لن تنتج ثمرا .

قلت : و لكن لماذا يلعنها السيد المسيح ؟

قال أبى : لا تظن يا ولدى مطلقا أن السيد المسيح غضب فلعنها مندفعا . كلا ، فالسيد المسيح حليم جدا و طويل الروح . و إذا كان قد صبر على الجوع على الجبل أربعين يوما و أربعين ليلة و لم يطع الشيطان حين عرض عليه أن يحول الحجارة خبزا ، فكيف يغضب هنا ؟ و لكن عمل سيدنا له المجد ذلك ليعطينا درسا مفيدا . إن السيد المسيح يعلمنا أغلى الدروس حتى عندما كان يعانى الجوع فى هذه الدنيا .

قلت : و ما هو الدرس المفيد هنا يا ترى ؟

قال أبى : هناك أكثر من درس واحد .

الدرس الأول : كان الحادث رمزا على إهلاك غير التائبين . أتذكر مثل التينة التى لم تعط ثمرا حين زرعها صاحب الكرم وسط كرومه ؟!

قلت : نعم . لقد ذكر ذلك المثل فى إنجيل لوقا الإصحاح ١٣ ، و قال الكرام لصاحب الأرض : « يا سيد أتركها هذه السنة أيضا حتى أنقب حولها و أضع سمادا فإن صنعت ثمرا و إلا ففيما بعد تقطعها » (لو ١٣ : ٨) .

قال أبى : هكذا الناس الذين لا يتوبون و يرجعون عن خطاياهم الرديئة سيأتى عليهم يوم اللعنة فييبسون و لا تكون منهم فائدة إلى الأبد . ثم هناك درس آخر : التحذير من خطر الرياء .

قلت : و كيف ذلك ؟

قال أبى : الرياء هو أن يظهر الشخص بغير حقيقته . كما كان الفريسيون و الكتبة يظهرون للناس أنهم أبرار صالحون ، و هم فى الواقع أشرار طالحون ، يسلبون الأرامل و الأيتام و يأكلون الحقوق ، هؤلاء كانوا كالتينة المورقة العاقر . ظواهرهم جذابة و بواطنهم نتنة كما قال السيد

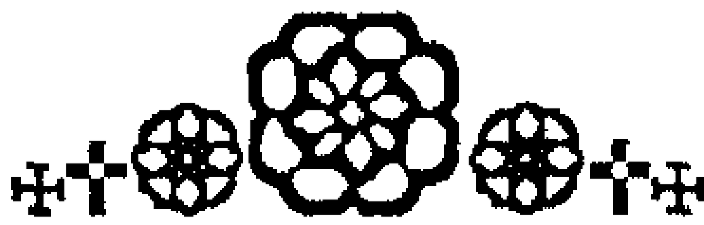
المسيح عنهم أنهم كالقبور المبيضة من الخارج بينما فى الداخل عظام أموات و كل نجاسة .

قلت : و هل هناك فوائد أخرى يا أبى من هذه القصة العجيبة ؟

قال أبى : نعم . أراد السيد المسيح أن يقوى إيماننا . و أن يعودنا الثقة فى جميع كلماته و وعوده .

إن تلاميذ السيد المسيح تعجبوا حين يبست التينة فى الحال بكلمة منه . و القديس بطرس - عندما مر بالشجرة بعد يوم واحد - إستلفت نظر السيد المسيح و قال له : أنظر . التينة التى لعنتها قد يبست . فلو كان للتلاميذ إيمان وطيد فى قوة سيدهم و مخلصهم لما كانوا قد تعجبوا بالمرة لما حصل للتينة . و لذلك فقد كان جواب السيد المسيح : « ليكن لكم إيمان بالله لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل إنتقل و انطرح فى البحر و لا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » (مر ١١ : ٢٣) .

قلت : حقا يا أبى ، يا لها من آية عظيمة . إن السيد المسيح لم يكن شخصا عاديا بل الله الظاهر فى الجسد . و ما أحلى أن نثق تماما فى وعوده الصادقة .





† أول قطاف العنب يقدس لتمجيد الرب .
† « العلالة » تترك للفقير و الأرملة و اليتيم .
† كان ممكنا لكل واحد الدخول إلى كرم صاحبه ليأكل و يشبع .
† تفسير للكلمات : الجفنة . المسطار . الناطور . البرج . المعصرة .

تحت « تكعيبة » جميلة كنا جالسين ، أبى الكاهن و أنا ، نتنعم بالظل الظليل ، و الخضرة المبهجة . و أمامنا طبق به عنب لذيذ . نتناول من حباته كحلوى بعد الغذاء .

قلت لأبى : هذه أول مرة أتذوق عنب هذه الكرمة . . لقد كنا هنا فى العام الماضى ، و لكن هذه الكرمة لم تكن تعطى ثمارا .

قال أبى : لقد ذكرنى كلامك بما كان من أوامر عند الإسرائيليين القدماء .

قلت : أية أوامر ؟

قال أبى : لقد نهى الإسرائيليون عن جميع الأثمار كلها قبل بلوغ

شجرتها السنة الثالثة . لقد كتب فى سفر اللاويين : « و متى دخلتم الأرض التى يعطيكم الرب إلهكم و غرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها ثلاث سنين لا يؤكل منها . و فى السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسا لتمجيد الرب ، و فى السنة الخامسة تأكلون ثمرها . لتزيد لكم غلتها . أنا الرب إلهكم . . » (لا ١٩ : ٢٣) .

قلت : جميل أن أول إنتاج للشجر يكون للرب ثم بعد ذلك يأكل البشر .

قال أبى : إن هذه الثمار الأولى تسمى الباكورات . و قد ورد فى سفر الأمثال : « أكرم الرب من مالك و من كل باكورات غلتك » (أم ٣ : ٩) .

و لقد أمر الرب بنى إسرائيل أيضا أن يتركوا شيئا من العنب على الكرمة و على الأرض . « و عندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد و لقاط حصيدك لا تلتقط ، و كرمك لا تعلله ، و نثار كرمك لا تلتقط ، للمسكين و للغريب تتركه ، أنا الرب إلهكم . . » (لا ١٩ : ٩) . و فى موضع آخر يقول الرب : « إذا قطعت كرمك فلا تعلله وراءك ، للغريب و اليتيم يكون ، و اذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر . لذلك أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر » (تث ٢٣ : ٢١) .

قلت : ما معنى كلمة « نثار كرمك » و كلمة « تعلله » ؟

قال أبى : نثار الكرم ، هو العنب الذى يسقط منتثرا على الأرض هنا و هناك أثناء القطف . . أما كلمة « لا تعلله » فمعناها « لا تقطف كل كبيرة و صغيرة مما فيه من الثمار » و لذلك أطلق على هذا المتروك فى الكرمة للفقير و المسكين إسم « علالة » أما المتروك من الزيتون فهو « خصاصة » .

قلت : و هذا أيضا جميل جدا . . إنه يعلمنا كيف نكون أسخياء

كرماء و نعمل حسابا للفقراء و الأرامل و اليتامى فى كل الخيرات التى أعطانا الله . ليعطنا الرب هذه الروح يا أبى .

قال أبى : و لعلك تذكر ما قلته لك فى مرة سابقة كيف كان ممكنا لكل واحد أن يدخل كرم صاحبه و يأكل و يشبع « إذا دخلت كرم صاحبك فكل عنبا حسب شهوة نفسك . . و لكن فى وعائك لا تجعل » (تث ٢٣ : ٢٤) .

قلت : و فى هذا الأمر الأخير كذلك يظهر نوع جميل من المحبة و المشاركة فى النعم و البركات . . إن صاحب الكرم - حين كان الغريب يأكل من ثمرات بساتينه - كان يشعر أن البركة هى للجميع ، فلا توجد أنانية و لا إحساس بالتفاوت بين الناس بسبب الفقر أو الغنى .

قال أبى : إن هذه الروح الجميلة يا ولدى قد ازداد جمالها حين أتت الديانة المسيحية فعلمتنا أن الفقراء و المساكين إنما هم « إخوة ربنا يسوع » و أن ما نفعله معهم إنما نفعله مع الرب تبارك إسمه . و تعليم المسيحية هو ما ردده القديس يوحنا المعمدان : « من له ثوبان فليعط من ليس له و من له طعام فليفعل هكذا » (لو ٣ : ١١) .

قلت : بمناسبة الحديث عن الكرم و العنب . هناك كلمات قرأتها فى الكتاب المقدس لم أفهم معناها . و هى كلمات ترد غالبا عند التحدث عن الكرم .

قال أبى : مثل ماذا ؟

قلت : كلمة (جفنه) و كلمة (مسطار) و كلمة (ناطور) و كلمة (برج) و كلمة (معصرة) .

قال أبى : الجفنة هى شجرة العنب فهى مرادف لكلمة « الكرمة » . و قد تترك الجفنات على الأرض و إنما ترفع فروعها على المساميك حين

الإثمار. و قد تعرش على سقائل أو أشجار ، و خصوصا بقرب البيوت . فيقال : « يجلسون كل واحد تحت كرمته أو تحت تينته » (مى ٤ : ٤) للدلالة على الأمن و رغد العيشة . و قد تتعرش الكرمة على جوانب البيت كما ذكر داود النبى فى حديث له عن الزوجة الصالحة « إمرأتك مثل كرمة مثمرة فى جوانب بيتك » (مز ١٢٨ : ٣) .

أما كلمة المسطار فهى شراب من عصير الكرمة . و اعلم أن الكروم كانت من أكرم أملاك العبرانيين فكان مسها بسوء بلية شديدة . و إذ أراد أشعياء النبى أن يشخص الحزن قال : « ناح المسطار . ذبلت الكرمة . أنَّ كل مسروري القلوب » (أش ٢٤ : ٧) . و كذلك لما أراد زكريا النبى أن ينبئ بقدوم أيام السعد قال :« الكرم يعطى ثمره » (زك ٨ : ١٢) .

و قال سليمان الحكيم : « أكرم الرب من مالك . . فتمتلئ خزائنك شبعا و تفيض معاصرك مسطارا » (أم ٣ : ٩ و ١٠) .

و أما **الناطور** فهو الشخص الذى يحرس الكرم . صحيح أن الكرم كان يحاط بحائط أو سياج لوقايته من الوحوش (و من أشهرها الثعلب المشهور بحبه الشديد للعنب) . و لكن كان من المهم طبعا وجود الحارس (الناطور) .

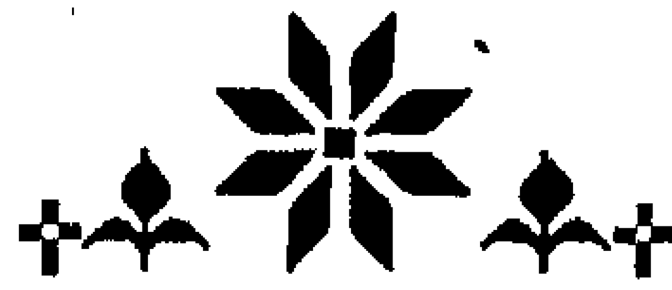
و أما **البرج** فهو بناء مرتفع فى الكروم أو البساتين يتخذ للنزهة أو ملجأ للناطور يأوى إليه إذا هطلت الأمطار ، و كان علو هذه الأبراج أحيانا يبلغ نحو عشرين مترا و عرضها عشرة أمتار .

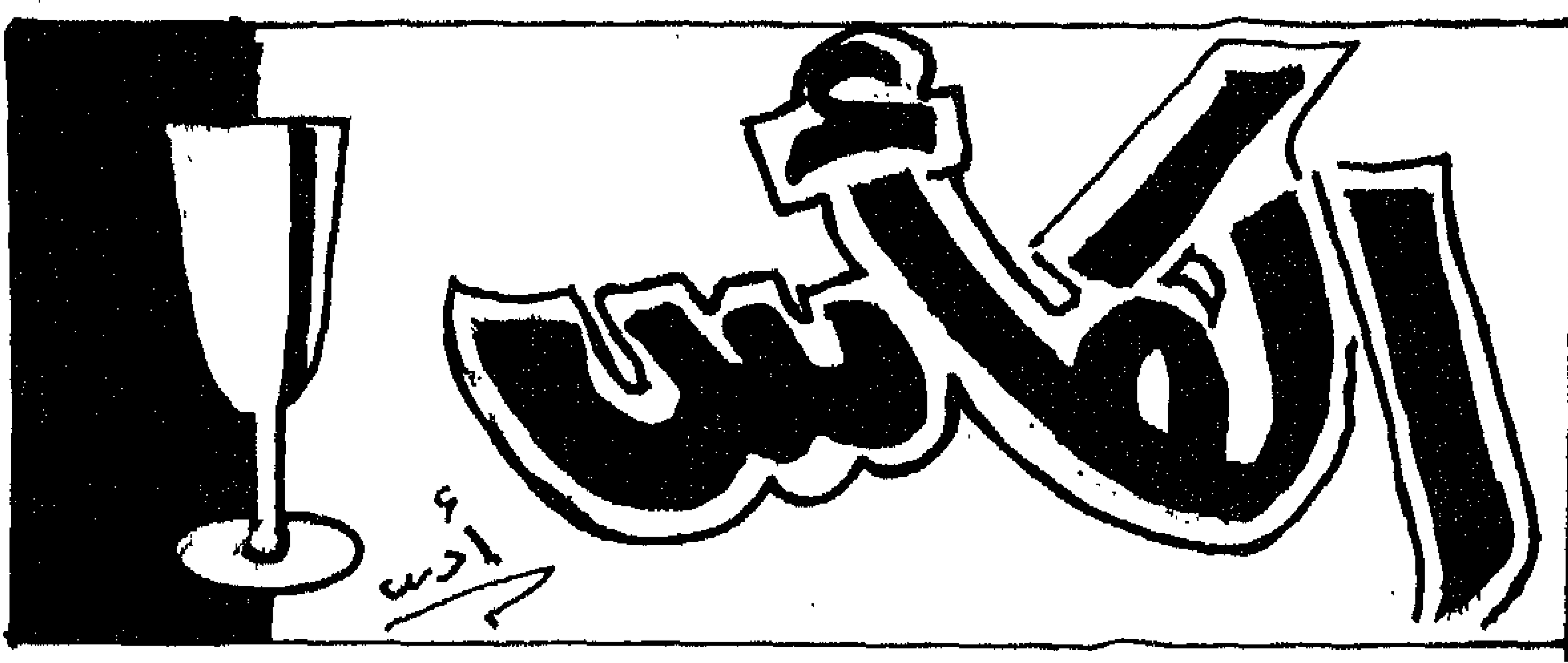
أما **معصرة الخمر** فكانوا ينحتونها فى الصخر ، و أحيانا يبنونها بناء . و قد وصف أحد العلماء معصرة منحوتة فى الصخر فقال « قد اختاروا منبسطا من الصخر فيه بعض الإنحدار فحفروا فيه حوضا بطول و عرض ٨ أقدام و عمق ١٥ قيراطا ، و تحت هذا الحوض بقدمين حوض آخر طوله و عرضه ٤ أقدام و عمقه ٣ أقدام ، و كانوا يدوسون العنب فى الحوض العلوى فينحدر العصير إلى السفلى » . و قد أشار يوئيل النبى

فى الكتاب المقدس عن هذا بقوله : « ... هلموا دوسوا لأنه قد امتلأت المعصرة » (يؤ ٣ : ١٣) . و طبعا كانت أثناء ذلك تتلطخ ثياب الدائسين بلون العنب الأحمر . و قد أشار أشعياء النبى إلى هذا بقوله : « من ذا الآتى .. بثياب حمر .. قد دست المعصرة وحدى .. فلطخت كل ملابسى .. » (أش ٦٣ : ١ - ٣) .

و كان يصحب عملية العصر غناء و هتاف ، كما كان ذلك يصحب عملية القطاف . لقد كان العبرانيون يحتفلون بقطاف العنب أكثر من حصاد الغلال .

قلت : أشكرك يا أبى على هذه المعلومات المفيدة ، لقد كان هذا الحديث لذيذا لروحى أكثر مما كان العنب لذيذا لفمى !!





† المادة التى تصنع منها كؤوس التناول .
† لماذا يوضع الكأس إلى يمين المذبح ؟ و إلى يمين الصينية ؟
† لماذا يمزج الخمر بالماء ؟ الأصول الواجب مراعاتها فى ذلك.
† الملعقة المستعملة للتناول .
† تفسير عبارة « أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا ؟ » .
† كأس الغضب . كأس البركة .

كان أبى فى زيارة كاهن كنيسة فى قرية مجاورة لبلدنا فى الريف . و قد حضرنا القداس ، و تقدمت إلى سر التناول فى تلك الكنيسة . و استرعى انتباهى – أثناء التناول – أن الكاهن كان يستعمل كأسا جميلة من الزجاج . و كان هذا منظرا غير معتاد بالنسبة إلىّ .

فلما انتهت الزيارة لم أنسَ أن أسأل أبى – و نحن فى طريق العودة – عن هذا الأمر .

قلت : هذه أول مرة يا أبى أرى فيها كأس التناول مصنوعة من الزجاج .

قال أبى : فعلا . من النادر أن يستعمل للتناول كأس مصنوعة من الزجاج .

قلت : لم أرَ فى حياتى إلا الكؤوس الفضية اللامعة . هل يمكن أن تستعمل الكنيسة كؤوسا ليست معدنية و لا زجاجية ؟

قال أبى : إستعملت الكأس قديما من الخشب . و لكن هذا حدث حين كانت هناك اضطهادات على الكنيسة ، و سلب و نهب للأوانى النفيسة الثمينة الموجودة بها ، و أنت ذكرت الآن أنك لم ترَ إلا الكؤوس الفضية اللامعة . و لو أنه - فى أيام راحة الكنيسة و اطمئنانها و رخائها - كانت الكؤوس تصنع من الذهب .

قلت : لاحظت يا أبى مكان الكأس أنه موجود على المذبح إلى اليمين بشكل واضح .

قال أبى : إننا بهذا نحقق نبوءة حزقيال النبى الذى قال : « إن الماء كان يخرج من الهيكل عن يمين المذبح و يسقى وجه الأرض و تنبت أشجار كثيرة لا تذبل أوراقها و لا تنقطع أثمارها . بل تكون أثمارها للأكل و أوراقها للشفاء » (حز ٤٧) .

قلت : و ما معنى « أشجار كثيرة لا تذبل أوراقها و لا تنقطع أثمارها » ؟

قال أبى : إشارة إلى بركة سر التناول التى قال عنها السيد المسيح له المجد : « من يأكل جسدى و يشرب دمى فله حياة أبدية » .

قلت : و لاحظت أيضا أن الكأس تكون على يمين الصينية الموجود بها الجسد الطاهر .

قال أبى : إن هذا إشارة إلى خروج الدم و الماء من جنب السيد المسيح الأيمن ، حين طعنه أحد العسكر الواقفين عند صليبه .

قلت : و لماذا تستعمل الكنيسة كأسا للتناول ؟ و لماذا لا تستعمل إناء آخر ؟

قال أبى : إن هذا من وضع السيد المسيح نفسه . كما ذكر فى الأناجيل عند تأسيس سر التناول . « و أخذ (السيد المسيح) الكأس و شكر و أعطاهم قائلا إشربوا منها كلكم » (مت ٢٦ : ٢٧) .

قلت : لاحظت أنك - يا أبى - حين تختار قربانة التناول و الخمر تمزج الخمر بالماء . هل هذا إشارة إلى خروج الدم و الماء بعد أن طعن صدر السيد المسيح كما قلت لى الآن ؟

قال أبى : نعم . هذا صحيح . و لكن لهذا المزج أصول يجب أن يراعيها الكاهن لئلا يخطئ .

قلت : كيف ؟

قال أبى : كما أن القوانين منعت من استعمل الخمر الصرف (غير الممزوج بالماء) كذلك منعت أن يمزج بماء كثير يزيد عن الثلث . و إذا كان الخمر متوفرا ، فليكن الماء بمقدار العشر . و لا يجوز أن تحرر هذه المقادير بالميزان .

و لا يجب أن يملأ الكأس إلى النهاية لئلا يهرق من الخمر شئ على الأرض . كذلك لا يستعمل من الخمور إلا عصير الكرمة دون غيره . لأن الرب استعمله عند تأسيسه لهذا السر . و لا يجوز استعمال خمر فاسدة تقرب أن تكون خلا . و لا يجوز أن تدخل على الخمر مادة أخرى مهما كان نوعها ما عدا الماء .

قلت : و لماذا يستعمل الكاهن ملعقة لمناولة المتقدمين للسر الأقدس؟

قال أبى : كان الذى يحدث فى عيد فصح اليهود أن رئيس الوليمة يأخذ كأسا من الخمر و يبارك الله لأجلها و لأجل جميع أنواع الرحمة التى عملها الله للمجتمعين ، ثم يدوّر الرئيس الكأس علي الضيوف فيشرب كل منهم . و هذه الطريقة اتبعها السيد المسيح عند تأسيس سر التناول .

و الظاهر أن استعمال الملعقة لم يظهر إلا بعد ذلك بكثير . و تكون الملعقة من الذهب أو الفضة أو المعدن و تكون نصف كروية و يدها مستقيمة .

قلت : قرأت فى الكتاب المقدس أن أم تلميذى السيد المسيح (يعقوب و يوحنا الرسولين) عندما طلبت أن يجلس إبناها أحدهما عن يمين السيد المسيح و الآخر عن يساره . قال لهما : « أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا و أن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ » فما هى هذه الكأس التى أشار إليها السيد المسيح ؟ هل هى كأس التناول ؟

قال أبى : لا يا ولدى . إن هذا موضوع آخر غير الموضوع الذى نتكلم فيه . إن الكأس هنا معناه كأس الألم و صبغة التعذيب و الدم الذى سال على الصليب ، و معنى العبارة أن تلاميذ السيد المسيح و خدامه لا بد أن يلحقهم فى خدمتهم ألم و تعذيب شبيه بما احتمله السيد المسيح ، و كانت آلامه طريقا إلى السماء و المجد . و لفظة « الكأس » كما تستعمل للدلالة على الآلام - كما رأيت - يمكن أن تستخدم للدلالة على بركات السماء أو لعناتها .

قلت : كيف ذلك ؟

قال أبى : يقول داود النبى مناجيا الله : « لا أخاف شرا لأنك أنت معى . . ترتب قدامى مائدة . . كأسى ريا » (مز ٢٣ : ٤ و ٥) و كلمة ريا معناها مروية . و معنى العبارة أن حياة داود النبى ممتلئة بالبركات مثل الكأس التى تفيض بما فيها من شراب مفيد . و يقول داود النبى فى موضع آخر « كأس الخلاص آخذ و بإسم الرب أدعو » (مز ١١٦:١٣) .

أما استخدام كلمة الكأس للدلالة على غضب الله و لعنة السماء فالآيات عليه كثيرة يقول داود النبى : « لأن فى يد الرب كأسا . . ملآنة

شرابا ممزوجا . . يشربه كل أشرار الأرض » (مز ٧٥ : ٨) . و يقول أشعياء النبى : « إنهضى . . يا أورشليم التى شربت من الرب كأس غضبه . . » (أش ٥١ : ١٧) .

قلت : ربنا يحمينا يا أبى من كأس الغضب و يعطينا كأس البركة .

و هنا كنا قد قربنا من منزلنا بعد أن استمتعنا بحديث لذيذ مفيد .





† لماذا كان محرما عند اليهود قطف السنابل و فركها يوم السبت ؟
† هل كان هذا مباحا فى بقية أيام الأسبوع ؟
† قوانين مضحكة لحفظ السبت وضعها أحبار اليهود .
† ما معنى أن السيد المسيح هو « رب السبت » ؟

كنا راجعين - أبى الكاهن و أنا - عقب انتهاء « عظة » ألقاها أبى فى اجتماع عقد فى قرية مجاورة . . و كانت حولنا الحقول مزروعة قمحا قارب النضج . . و كان المنظر جميلا حقا . النسيم لطيف يهب فيتماوج القمح كله بانتظام كأنه موج بحر ذهبى .

و كنا نحس الجوع لأننا لم نكن قد تناولنا طعاما منذ الصباح . . فرأيت أبى يقطف بعض سنابل الحقل المجاور (و هو ملك رجل قريب لنا) و يفرك أبى تلك السنابل بين كفيه ، ثم ينفخها ليذرى التبن و يستبقى القمح الناضج لأكله .

و لما قلدت ما فعله أبى وجدت حبات القمح لذيذة حقا ، و فيها سد للجوع « تصبير » إلى أن نصل إلى منزلنا .

قال أبى : لقد ذكرتنى حالتنا الآن و نحن نقطف السنابل و نأكل ، بالحادثة التى وردت فى الكتاب المقدس حين كان تلاميذ السيد المسيح

يقطفون السنابل و يأكلونها ، فأثار هذا العمل غيظ الفريسيين و اعتراضهم قائلين : « لماذا تفعلون ما لا يحل فعله فى السبوت ؟ » .

فقلت : صدقنى يا أبى إن نفس هذا الأمر جاء فى فكرى الآن . و أعتقد أنها فرصة لكى توضح لى بعض الأشياء الغامضة فى هذا الموضوع . لماذا كان قطف السنابل و فركها محرما يوم السبت ؟ و هل كان هذا مباحا فى بقية الأسبوع ؟

قال أبى : كان هذا مباحا فى بقية أيام الأسبوع . فللجائع الحق فى قطف السنابل و أكلها حتى من حقل غير حقله . كان هذا معروفا و مستقرا بين اليهود . بل إن ناموس موسى النبى قد صرح به كما ذكر فى سفر التثنية « .. إذا دخلت زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك و لكن منجلا لا ترفع على زرع صاحبك . إذا دخلت كرم صاحبك فكل عنبا حسب شهوة نفسك و شبعتك و لكن فى وعائك لا تجعل » (تث ٢٣ : ٢٤ و ٢٥) و لكن قطف السنابل و فركها لم يكن مباحا فى يوم السبت بالذات .

قلت : لماذا ؟

قال أبى : كانت تعاليم الفريسيين تعتبر قطف السنابل نوعا من الحصاد ، و اعتبروا فركها نوعا من الدراس . و الحصاد و الدراس ممنوعان حسب تلك التعاليم .

قلت : و لكن هل كانت تعاليمهم تلك من تعاليم الله ؟ هل نزلت من السماء هذه الأوامر ؟

قال أبى : لا .. صحيح أن الله قد أعطى الشعب يوم السبت للراحة .. و وضح لهم فى الأسفار المدونة بالكتاب المقدس ما يقومون به فى ذلك اليوم ، لكى لا يكون خلاله انشغال متعب بل يكون يوم بهجة و مسرة .

و لكن أولئك المعلمين الجهلة المضللين وضعوا من عندهم تفسيرات كثيرة معقدة ، و قواعد لا نهاية لها فى منتهى الصرامة و الشدة .

قلت : و على ذلك فإن التلاميذ لم يكسروا قوانين الله ، بل كسروا شريعة أولئك المعلمين الجهلة .

قال أبى : نعم . . لم يكسروا غير قوانين أولئك « الأحبار » . كم كان فيها من الأمور العجيبة . . بل المضحكة أحيانا . « و شر البلية ما يضحك » كما يقول المثل .

قلت : كيف ذلك ؟

قال أبى : كان محرما على الشخص أن يعبر نهرا على أرجل خشبية يوم السبت لأنه بذلك يحمل الأرجل الخشبية . لا تخرج سيدة بأشرطة على ثوبها ما لم تكن مخيطة على ذات الثوب ! لا تلبس أى أسنان اصطناعية ! إذا آلم ضرس رجلا فلا « يمضمض » فمه بالخل ثم يلقيه ، بل يملأ فمه بالخل ثم يبتلعه !! لا يكتب أحد حرفين هجائيين ! لا يستدعى المريض طبيبا ، و من به تصلب فلا يضع ضمادا و لا يدهن موضع الألم ! لا يخرج خياط و معه إبرته غروب يوم الجمعة لئلا ينساها و يكسر السبت بحملها ! لا يبقى شريط على ديك يوم السبت لأن هذا معناه حمل شئ ! إلى آخره . . إلى آخره .

قلت : هذه أمور عجيبة جدا . . لم أسمع بها قبل اليوم .

قال أبى : و الأعجب أن هذه الأمور كانت ظاهرية فقط و أنهم كانوا يتحللون بها بوسائل مدهشة .

قلت : كيف ؟

قال أبى : سأذكر لك مثلا . . كانوا يقولون : إذا أراد إنسان أن ينقل حزمه من حقله يوم السبت (و كان هذا من الأعمال اليدوية

المحرمة) فعلى ذلك الإنسان أن يضع فوق الحزمة ملعقة يستعملها كل يوم (و هذه الملعقة كا مباحا له حملها يوم السبت) و بذلك يكون وجود الملعقة مبررا لحمل الحزمة كلها يوم السبت !!

قلت : هذا أيضا عجيب جدا . .

قال أبى : و لكن السيد المسيح له المجد قد أوضح لهم من تاريخهم المثبت فى الكتاب المقدس كيف أن نبيهم داود حين جاع دخل الهيكل ، و أكل خبز التقدمة و أعطى الذين معه أيضا مع أن هذا الخبز لا يحل أكله إلا للكهنة فقط . فأوضح لهم السيد المسيح أن اتقاء خطر يهدد الحياة هو أمر هام جدا يعلو كل الأحكام التى وضعوها لتفسير شريعة السبت .

قلت : و ماذا قصد السيد المسيح من قوله فى نهاية هذه القصة إنه - له المجد - « رب السبت » ؟

قال أبى : قصد السيد المسيح أنه سيد السبت . و واضع شريعة السبت . و على ذلك يجب أن يقبلوا توجيهاته بأن يصنعوا الخير فى يوم الراحة ، و يمتنعوا عن الأعمال العالمية التى لا تدعو إليها الضرورة .

قلت : ربنا يحمينا من كل خطأ و انحراف و يجعل حياتنا مملوءة رحمة .

قال أبى : آمين يا ولدى . آمين .





† يجب أن يصنع القربان من دقيق القمح النقى و بمعرفة « القرابنى » الذى يتلو عليه المزامير أثناء صنعه .
† دقيق القربان يقدم من الشعب .
† سر استدارة القربانة و وجود كتابة بالقبطية عليها – و وجود إثنى عشر صليبا صغيرا حول الصليب الأكبر الأوسط – و وجود ٥ ثقوب واضحة فيها .
† لماذا توزع قطع القربان على الشعب بعد انتهاء القداس ؟ من الذى يقوم بهذا التوزيع ؟!

مرة أخرى كنا – أبى الكاهن و أنا – فى طريق العودة إلى بيتنا الريفى بعد أن حضرنا القداس فى كنيسة مجاورة لقريتنا . و كان الوقت قد قارب الظهر ، و أحسست بالجوع فأخرجت القربانة التى كان قد أعطاها لى « قيّم » الكنيسة (القرابنى) ، و جعلت آكل منها لقمة لقمة ريثما أصل إلى البيت .

قلت : يا له من قربان حلو ، ناصع البياض ، جذاب المنظر .

قال أبى : هذا هو الواجب يا ولدى . إن الكنيسة أمرت أن يكون القربان مصنوعا من دقيق القمح النقى . و لزيادة الإطمئنان على ذلك ، رتبت الكنيسة أن يخبز القربان بمعرفة « القيّم » حتى أنها لا تقبل خبزا غيره . فهو لذلك خبز مخصوص غير عادى .

و ليس غرض الكنيسة مجرد الإطمئنان على سلامة الدقيق من الغش . بل لها غرض آخر ، هو أن يكون خبز التناول مقدسا بالصلوات التى تتلى عليه أثناء صنعه ، غير مصنوع بأيدى عامة الناس . و كل هذا حفظا لكرامة سر التناول الذى يستخدم فيه القربان .

قلت : و هل كلما احتاج القرابنى إلى دقيق يذهب لاختياره و شرائه نقيا من التاجر ؟

قال أبى : من العادات القديمة أن يقدم هذا الدقيق من المسيحيين هدية إلى الكنيسة . و لا يزال البعض يتبعون هذه العادة .

و جميل أن نتبع كلنا هذا المثال لنعبر عن حبنا لكنيستنا ، فننال البركة . خصوصا و أن الكاهن يطلب فى صلاة خاصة لأجل من قدم القرابين قائلا : « أذكر يا رب الذين قدموا هذه القرابين ، و الذين قدمت عنهم ، و الذين قدمت بواسطتهم . أعطهم كلهم الأجر السمائى » .

و كنت – فى تلك الأثناء – أقلب بين يدى القربانة التى بدأنا بسببها الحديث ، فوجدتنى أنتبه إلى أشياء كثيرة فى تركيبها ، لم أكن أتبينها حين كنت آكل من القربان بسرعة دون تأمل . . تنبهت – مثلا – إلى كتابة باللغة القبطية حول دائرة فى وسط القربانة ، و إلى شكل صلبان داخل الدائرة . أخذت أعدها فوجدتها إثنى عشر صليبا صغيرا حول صليب كبير فى الوسط . فسألت أبى عن تفسير لهذا كله .

فقال أبى : إن القربان يصنع على شكل هذا القرص المستدير لتمييزه عن الخبز العادى ، و الدلالة على أنه مخصص لله . أما الصليب المرسوم داخل الدائرة فهو للدلالة على أن القربان يتحول بالصلاة إلى جسد الرب الذى علق على الصليب ، و الإثنى عشر صليبا تمثل الرسل الأطهار حول السيد المسيح معلمهم و ربهم .

و أما الكتابة باللغة القبطية فهى : « قدوس الله . قدوس القوى .

قدوس الحى الذى لا يموت . و هى الترنيمة التى أنشدها نيقوديموس و يوسف الرامى اللذين اشتركا فى دفن جسد الرب . إن لهذه الترنيمة قصة .

قلت : ما هى هذه القصة ؟

قال أبى : يقولون أن نيقوديموس (و كان تلميذا للسيد المسيح – لكن فى الخفاء بسبب الخوف من اليهود) لما رأى السيد المسيح له المجد مائتا بالجسد، أخذه العجب و استولى عليه الذهول ، لأن « رئيس الحياة » يموت (و هو الذى أقام لعازر من القبر بعد موته بأربعة أيام) فنادى نيقوديموس رب الحياة قائلا : « أين جبروتك يا رب ؟ » و للحال سمع الملائكة تنشد من السماء « قدوس الله . قدوس القوى . قدوس الحى الذى لا يموت » . فهتف نيقوديموس قائلا « يا من صلبت عنا ارحمنا » .

قلت : قصة حلوة يا أبى . . لكن ما سر هذه الثقوب الخمسة التى أراها ؟

قال أبى : يثقب القربان خمسة ثقوب وقت خبزه ، و هى إشارة إلى المواضع الخمسة التى طعن فيها السيد المسيح و سال منها دمه الكريم بغزارة عند اليد اليمنى و عند اليد اليسرى ، و عند القدمين و عند جبينه الطاهر (بإكليل الشوك) ، و عند جنبه الطاهر (بالحربة) .

قلت : يا لها من إشارات رائعة . إن القربانة – و هى صامتة – تعطى دروسا قيمة لمن يتأمل فيها و يتفكر .

بقى عندى سؤال فى هذا الموضوع : لماذا توزع قطع من القربان على الشعب عند انتهاء صلوات القداس ؟ .

قال أبى : إن هذه اللقم هى كسَر « خبز البركة » ، و هو القربان الذى قدم إلى الكاهن فى أول القداس ، و اختار منه قربانة التناول (الحمل) . ثم يقطع لتوزيعه على الشعب ، فينال الكل من البركة

و تشعر الجماعة كلها بالوحدة ، حين يتناول كل فرد لقمة من القربانة المقدسة .

و المفروض أن الكاهن - بعد الإنتهاء من الصلاة - يوزع من القربانة على الشعب . ففى أثناء التوزيع يستطيع الكاهن أن يتبين : من الذى غاب من شعبه ، و من الذى حضر . و يجتمع الشعب حوله فى ألفة و اتحاد . و يسأل الكاهن عن المتغيبين ، و يوزع حبه و عطفه مع لقمة البركة .

قلت : و هل كان توزيع القربان و خبز البركة معروفا من بدء المسيحية ؟

قال أبى : إعلم يا ولدى أن هذا الخبز الذى يوزع على الشعب فى أيامنا هذه هو تذكار « لولائم المحبة » التى كان يصنعها المسيحيون قديما بعد انتهاء القداس ، تأكيدا للمحبة و السلام بينهم ، و لئلا يتعب فى طريق العودة من تكون منازلهم بعيدة عن الكنيسة .

و قد شهد المؤرخون بأن هذه العادة قديمة تتصل بعهد الرسل . و أن إسم الولائم كان « أغابى » (و هى كلمة قبطية معناها « محبة ») لأن الدافع لعمل الولائم كان - كما قلت لك - هو محبة المسيحيين بعضهم لبعض .

و قد بقيت هذه العادة سائرة إلى أن زاد انتشار الدين المسيحى و لم تعد أفنية (أحواش) الكنائس تسع المسيحيين عند الأكل و الشرب أو بسبب آخر ، فأبطلوها و استبدلوها بتوزيع القربان .

قلت : شكرا يا أبى . ما أجمل أن يفهم المسيحى دينه و كنيسته و يتمتع بالبركات المتوفرة له فيها .

ها هو ذا منزلنا قد ظهر أمامنا واضحا . نشكر الله على سلامة الوصول .



† هل تصلى ليدخل السيد المسيح قلبك حين تستقبله بالسعف ؟

† كيفية احتفال الكنيسة بعيد دخول السيد المسيح أورشليم مساء السبت و باكر الأحد .

† دورة الصليب فى باكر الأحد .

† الجناز العام بعد القداس .

كانت أصوات الباعة تتردد فى الشارع : « قلبك يا مسيحى » .. « قلبك أبيض يا مسيحى » ! . و كانت فى المنزل حركة غير معتادة .. إخوتى الصغار التفوا حولى ، و فى يد كل منهم واحدة من السعف يريدنى أن أضفرها له .. و قد أحضر بعضهم ورودا جميلة لنزين تلك الأغصان بها ، و أحضر البعض الآخر عدة أغصان من الزيتون .

فى ذلك الجو البهيج .. أقبل أبى الكاهن ، و استغل هذه المناسبة فى التحدث عن « أحد السعف » .

قال أبى : لماذا « تضفر » هذا السعف ؟

قلت : إن غدا هو أحد السعف كما تعلم يا أبى .. و قد تعودنا - فى مثل هذا اليوم من كل عام - أن نضفر السعف لنذهب به إلى الكنيسة حيث نتذكر دخول السيد المسيح له المجد إلى أورشليم و حوله الأطفال و الجمهور حاملين السعف و أغصان الزيتون .

قال أبى : هل هذا فقط هو السبب ؟! الواقع يا إبنى أن الكنيسة تريد أن تعلمنا دروسا أعمق . يجب أن نستغل هذه الفرصة فى أن نصلى لكى يزيدنا الرب طاعة له . هل تسمع ما يقوله باعة السعف الآن ؟

قلت : نعم . إنهم يقولون : « قلبك يا مسيحى » .. « قلبك أبيض يا مسيحى » .

قال أبى : فلنفكر فى هذا . لقد رحب التلاميذ و الجمهور و الأطفال بالسيد المسيح قائلين أوصنّا (يعنى خلّصنا) . و كانوا يظنونه ملكا أرضيا سيعين الوزراء و المديرين . و لكنه قال : « مملكتى ليست من هذا العالم » إنه يملك على القلوب .

قلت : كيف ذلك ؟!

قال أبى : عندما يكون قلبنا محبا للسيد المسيح ، فإننا لا نستطيع أن نعمل شيئا يغضبه .. إننا نكون تحت أمره .. نعمل إرادته الصالحة .. و هكذا يكون هو ملكا على قلوبنا .. هل فهمت ؟

قلت : نعم ..

قال أبى : و لكن الذين يعملون الشر .. لا يملك الله على قلوبهم .. فلنستغل فرصة تذكار دخول السيد المسيح إلى أورشليم لنصلى قائلين : « يا رب أنت ملك القلوب . أدخل قلوبنا .. و اطرد عنا كل خطية .. نظفها و طهرها كما طهرت الهيكل المقدس من الذين كانوا يبيعون و يشترون فيه » .

قلت : يا له من درس نافع .. سأردد يا أبى مثل هذه الصلاة قبل أن أنام الليلة .

قال أبى : إن الساعة الآن لا تزال الرابعة بعد الظهر .. و يجب أن

تنتهى من ضفر السعف سريعا لتتمكن من حضور صلاة « العشية » فى الكنيسة . . إن فيها الليلة صلوات خاصة جميلة و ترتيبات معينة .

قلت : و ما هى هذه الترتيبات ؟

قال أبى : المعتاد فى مثل هذا اليوم من كل عام أن يقطع المسيحيون سعفا من النخل و أغصانا من الزيتون و يزينوها على شكل صليب و يوقدوا حولها الشموع ، و يصعدوا إلى غرفة البطريرك أو المطران أو الأسقف ، و الكهنة بملابسهم الكهنوتية و مجامرهم فى أيديهم و الشمامسة حاملون الشموع فى أيديهم ، يرتلون قدامه لحن « مبارك الآتى باسم الرب » بطريقة خاصة مفرحة ، حتى يصلوا إلى قدام الهيكل حيث يصلون من الأجبية (كتاب صلوات الساعات) صلاة الساعة التاسعة ثم صلاة الغروب و النوم و صلاة أخيرة تسمى صلاة الستار ثم يبدأون تسابيح طويلة لذيذة ، تختتم بالبركة و صرف الشعب إلى منازلهم بسلام ليستريحوا قليلا .

قلت : ليستريحوا قليلا . . ؟ هل يعود الشعب إلى الكنيسة فى نفس الليلة مرة ثانية ؟

قال أبى : نعم . جرت العادة سنويا أن يأتى الشعب إلى الكنيسة قرب منتصف الليل حيث يصلون من كتاب صلوات الساعات « صلاة نصف الليل » و يبدأون من جديد التسابيح الطويلة الحلوة إلى ساعة متأخرة .

و إذا حضرت مبكرا يوم أحد السعف فسترى نظاما خاصا فى العبادة فى « صلاة باكر » .

إن الصليب الكبير المجهز من سعف النخل و أغصان الزيتون يحمله الكاهن عندما يؤدى صلاة « اللهم ارحمنا . قرر لنا رحمة . و اسمعنا . و أعنّا » و ذلك بعد تلاوة قانون الإيمان .

ثم يطوف الكاهن و الشمامسة فى الهيكل ثلاث مرات و هم يرددون « كيرياليسون » (يا رب ارحم) . و يقفون أمام باب الهيكل و يرتلون بلحن « مبارك الآتى باسم الرب » ثم يطوفون الكنيسة كلها . و يرفع الكاهن البخور أمام الهيكل و صور القديسين . و تقرأ من الكتاب المقدس فصول معينة ، و تسمى هذه « دورة الصليب » يقرأ بعدها الكاهن إنجيل قداس صلاة باكر و تختم الصلاة كالمعتاد .

قلت : و متى يكون إذن تكريس السعف ؟

قال أبى : أثناء الدورة التى حدثتك عنها يكون الشعب ممسكا بالسعف فى أيديه .

أما عند انتهاء الدورة فيركن السعف جانبا و يتفرغ المؤمنون لمتابعة الصلوات فى القداس .

إن من الخطأ الشديد يا ولدى أن ينشغل الجهلاء بضفر الخوص أثناء الصلاة . ليعطكم الرب نعمة يا أولادى لكى لا تقعوا فى هذه الخطية .

قلت : لاحظت أن الكنائس عموما تكون مزدحمة بجماهير الشعب يوم أحد السعف . .

قال أبى : لعل سبب هذا الإزدحام هو أن الكنيسة تقيم جنازا عاما لكل المؤمنين بعد انتهاء قداس أحد السعف مباشرة .

قلت : و ما معنى الجناز العام ؟

قال أبى : إنه الصلوات التى تتلى على المؤمنين الذين ينقلهم الرب من هذا العالم بالموت . إن الكنيسة تتلو هذه الصلوات على الشعب كله خشية أن يموت أحد منهم فى أسبوع الآلام . لأن الكنيسة عند ذلك تكون مشغولة بالحزن و التأمل فى آلام السيد المسيح وحده فليس هناك مجال

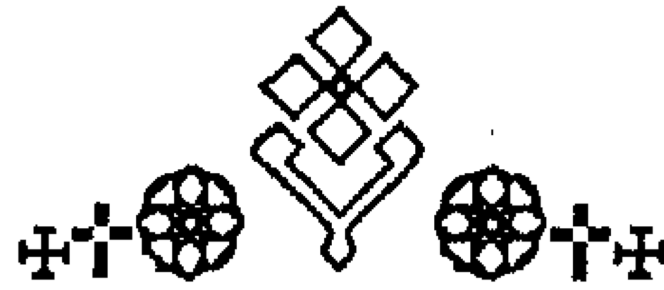
للحزن على شخص آخر . و لذلك فإن الكنيسة لا ترفع بخورا (إلا يومى الخميس الكبير و سبت الفرح) .

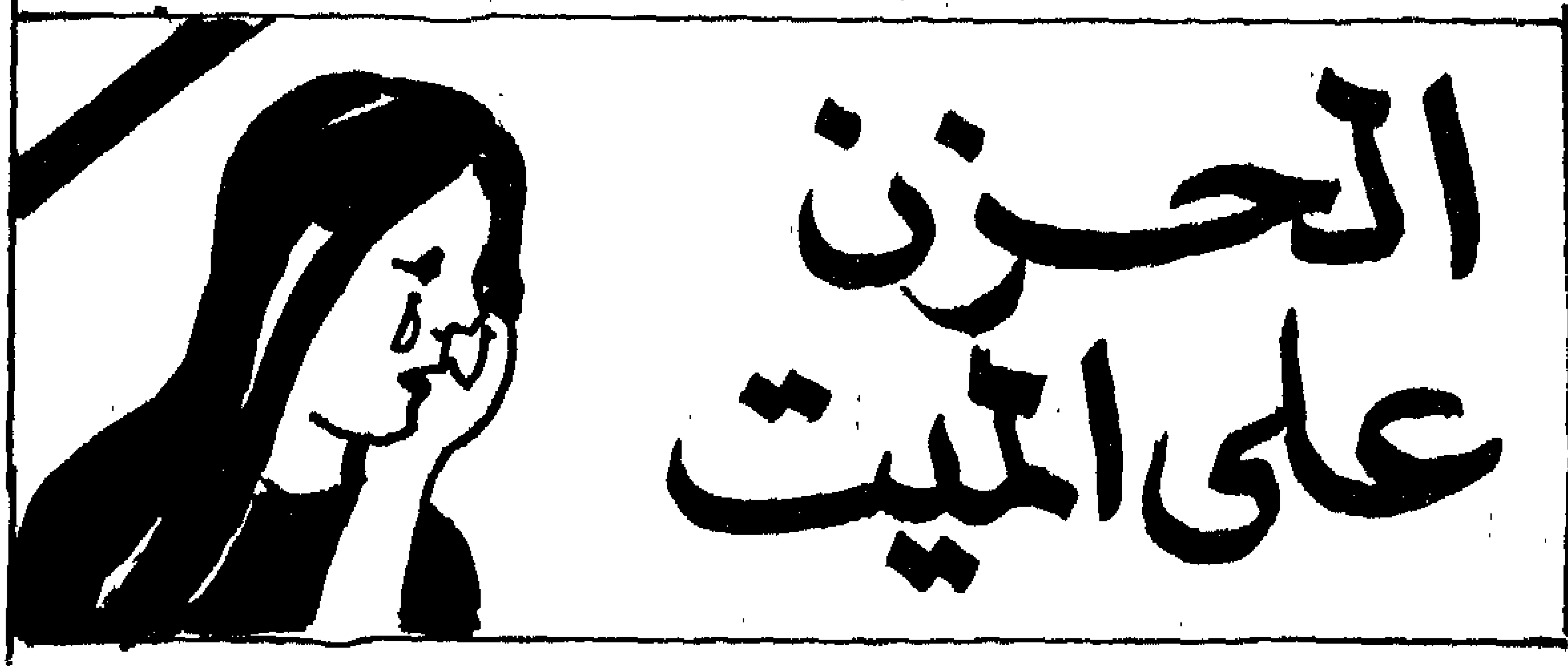
قلت : و إذا توفى أحد فى الأيام التى لا يرفع فيها البخور ؟

قال أبى : تقرأ عليه الكنيسة الفصول المقرر قراءتها فى إحدى « ساعات » الصلاة المعتادة ، دون أن ترفع بخورا . . فبسبب حرص الشعب كله - كبارا و صغارا و نساءاً و رجالا - على الإشتراك فى الجناز العام ، تجد الكنائس مزدحمة يوم أحد السعف .

قلت : شكرا يا أبى على هذه المعلومات الجديدة المفيدة .

قال أبى : و الآن أترككم لتتموا ضفر السعف سريعا ، حتى نكون سويا فى صلاة العشية مبكرين .





† كيف كان يندب الأقدمون أمواتهم ؟
† من كان يخدمهم عند ذاك ؟
† ما هو المسوح ؟ و متى يلبس ؟
† النادبات المستأجرات .
† الموسيقى الحزينة .
† لماذا تقام صلاة فى اليوم الثالث لانتقال الميت ؟

فى فجر أحد الأيام التى قضيتها فى الريف مع أبى ، إستيقظ أهل بيتنا و جميع بيوت الحى على صوت بكاء و نواح و صياح ، و عرف الجميع بعد قليل أن جارا غير مسيحى قد توفى . و سرعان ما بدأت النساء الريفيات يتوافدن بثيابهن السوداء القاتمة ، على أهل الميت و يشاركن فى الندب و الصياح .

قلت لأبى : كان الله فى عون هؤلاء الناس . لقد أجهدوا أنفسهم فى الحزن و العويل الكثير ساعات طويلة .

قال أبى : نعم كان الله فى عونهم . . لقد أتعبوا أنفسهم بزيادة . صحيح أن انتقال أحد أفراد العائلة بالموت هو أمر مؤثر ، و لكن كان يجب أن يخفف الإيمان و الصبر من تأثير وقع الموت فلا يحدث كل هذا الضجيج .

إن مرور آلاف السنين لم يغير كثيرا من تلك العادات الكريهة .

قلت : كيف ؟

قال أبى : من قديم الزمان .. كان هناك ندب على الأموات ، و إظهار الأسف على رحيلهم و تعداد محاسنهم بطرائق متنوعة .

قلت : هل كانت هناك طرق لإظهاو الحزن غير البكاء و اللطم كما نسمع الآن ؟

قال أبى: كان العبرانيون اليهود القدامى يندبون الميت بقرع صدورهم و تمزيق ثيابهم ، و بالصوم أيضا .

ذكر الكتاب المقدس أن داود النبى عندما أتاه خبر وفاة صديقه الحميم يوناثان و شاول أبى يوناثان ، عند ذلك أمسك داود ثيابه و مزقها و كذا جميع الرجال الذين معه . و ندبوا و بكوا و صاموا إلى المساء (صم ١ : ١٢) .

و كان من علامات الحزن أيضا النوم على الأرض - لا على الأسرة - كما فعل داود النبى أيضا حين وصله خبر مقتل إبنه أبشالوم (٢ صم ١٣ : ٣١) .

و من علامات حزن القدماء على موتاهم كذلك نتف الشعر و اللحية و حلقهما ، و أن يجرح النادبون أجسادهم . و لكن الله قد نهاهم عن ذلك بقوله فى سفر التثنية : « أنتم أولاد للرب إلهكم . لا تخمشوا أجسامكم و لا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت » (تث ١٤ : ١) .

قلت : و إلى أى حد يستمر الندب ؟ كم يوما ؟

قال أبى : كانت مدة الندب ٧ أيام . إلا أنهم كانوا يندبون الشرفاء مثل موسى النبى و هرون أخيه ٣٠ يوما (عد ٢٠:٣٩ ، تث ٣٤:٨).

مع ملاحظة أن الحزن كان ممنوعا يوم السبت لأنه يوم الراحة .

قلت : ألا يؤدى الحزانى و الحزينات أعمالهم اليومية فى تلك الفترة؟

قال أبى : لا . طبعا .. كانوا طول المدة يلازمون البيت و يأكلون على الأرض ، و كانوا يغطون وجوههم و يمتنعون عن قراءة الشريعة حتى و عن الصلوات الإعتيادية !! و لا يلبسون ثيابهم و لا يزينون أبدانهم و لا يرتبون فراشهم ، و لا يستحمون و لا يحيون أحدا .. و لم يكن أحدا يخاطبهم إلا جوابا لكلامهم .

قلت : و من يطهو لهم طعامهم إذن ؟

قال أبى : كان أصحابهم يزورونهم و يعزونهم و يأتونهم بطعام . أنت تعرف طبعا قصة لعازر الذى أقامه الرب يسوع من الأموات .

قلت : أعرفها جيدا .

قال أبى : قبل إقامة لعازر ، حين خرجت أخته مريم لاستقبال السيد المسيح ، كان هناك يهود يعزونها . فظنوا أنها ذهبت إلى القبر لتبكى هناك . كان الذهاب إلى القبور للبكاء عادة . و كانوا كلما مروا بقبر يصلون صلاة تصرح بأن الموتى سيقومون كما كانت هناك عادة البكاء على سطوح المنازل .

قلت : ذكرت لى يا أبى أن أهل الميت كانوا لا يلبسون ثيابهم مدة حزنهم . فماذا كانوا يلبسون إذن ؟

قال أبى : كانوا يلبسون المسوح .

قلت : و ما هى المسوح ؟

قال أبى : هى قماش خشن غليظ تعمل منه الأكياس ، و هو ينسج من ألياف نبات القنب أو من شعر الماعز .. و الظاهر أنه كان خاصا بمثل تلك الأوقات ، أوقات المآتم و المناحات . و لو أنه كان يلبس علامة للتوبة

كما عمل أهل نينوى حين نادى فيها يونان النبى أن المدينة ستنقلب بعد أربعين يوما .

و حين وصلت المحاورة بين أبى و بينى إلى هذا الحد ، كان الضجيج فى المأتم المجاور قد وصل أقصاه . و لكنى لاحظت أن الأصوات كانت تنطلق من جميع العناجر مرة واحدة ، بعد أن تقول إحدى النساء الموجودات هناك « تعديدا » بصوت حزين مؤثر . فذكرت لأبى هذه الملحوظة .

فقال أبى : إن هذه المرأة هى : النادبة . و كانت النادبات - و لا زلن إلى الآن فى بعض قرى الريف - يستأجرن لبكاء الميت ، و كذلك كان يستدعى أناس يستعملون آلات موسيقى حزينة . و أظن أنك سمعت فى مدارس الأحد قصة إبنة « يايرس » التى أقامها من موتها الرب يسوع له المجد . يقول الكتاب المقدس إن السيد المسيح حين جاء إلى البيت « نظر المزمرين و الجمع يضجون » (مت ٩ : ٢٣) و لذلك فإنه - له المجد - قد أخرج الجميع قبل إقامة البنت .

قلت : و لكن هل الديانة المسيحية تسمح بأعمال الندب هذه ؟

قال أبى : يجب أن يكون لإظهار الحزن حدود معقولة . فلا ينبغى التمادى إلى درجة مخزية أو مؤذية كما ترى و تسمع الآن .

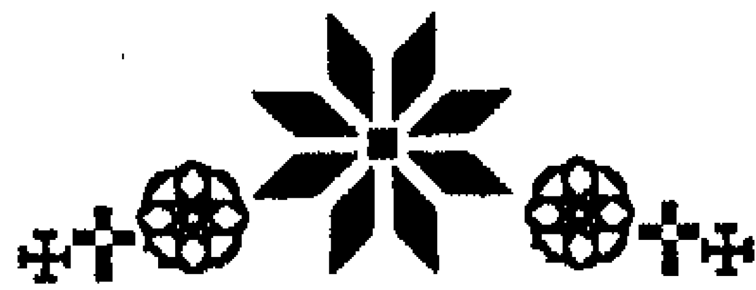
إن الكنيسة تردد على أسماعنا كثيرا أن الموت ليس نهايتنا إنما هو موصل للصالحين إلى الحياة الأبدية . و توصينا الكنيسة لذلك ألا نحزن كالذين ليس لهم رجاء فى قيامة الأموات . لأن المنتقلين أحياء عند الله و سنقابلهم بعد قليل .

و لذلك فلا داعى للإنحراف أثناء الحزن . و لعلك لا تعرف أن الكهنة قديما لم يجز لهم أن يندبوا سوى« من كان بالدرجة الأولى من القرابة مثل الأب و الأم . أما « الكاهن العظيم » فلم يؤذن له أن يندب أحد مطلقا .

ثم إن كنيستنا رتبت أن تقام صلاة فى اليوم الثالث لانتقال الميت . تقام هذه الصلاة فى منزل الشخص المنتقل لصرف الروح و لرفع الحصير ، و تعزية أهل البيت و كل المعارف الحزانى .

قلت : لاحظت - عند قراءتى للوفيات - أن بعض الناس يكتبون هذه العبارة « . . و لا عزاء للسيدات » أو « العزاء قاصر على تشييع الجنازة » أظن أنهم بهذه الطريقة يحاولون التخلص من مواقف الندب و الحزن المفرط .

قال أبى : يجوز . . و يجوز أيضا أن لهم ظروفا خاصة تحتم عليهم ذلك . و على أى حال ، فإننا يجب أن نفهم الآخرين بقدر الإمكان أن الهلع و الجزع الشديدين على انتقال الأموات أمر كريه عند الرب . و يجب أن نكون - نحن أنفسنا - قدوة أمام الآخرين فى ذلك .





† لماذا بقيت الأكفان و المناديل فى قبر السيد المسيح ؟
† كيف ظهر السيد المسيح لمريم المجدلية بعد القيامة ؟
† لماذا قال لها « لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد » ؟

كنت أقرأ حوادث صلب فادينا الحبيب ، و قيامته من الأموات . و أعجبنى إخلاص مريم المجدلية ، التى أتت فى أول الأسبوع ، باكرا جدا و لا يزال فى السماء بقية من ظلام الليل . فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر . فجرت بسرعة و أتت إلى بطرس و يوحنا الرسولين قائلة : « أخذوا السيد من القبر و لسنا نعلم أين وضعوه » فخرج الرسولان و جريا بسرعة ، و دخل القديس بطرس قبر الفادى . و نظر فرأى الأكفان موضوعة و المنديل الذى كان على رأس السيد المسيح ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا وحده . و دخل القديس يوحنا فرأى و آمن .

عند ذلك سألت أبى الكاهن :

لماذا ذكر الكتاب المقدس أن يوحنا الرسول « رأى و آمن » عندما نظر الأكفان موضوعة ، و المنديل فى ركن آخر . ما الذى تدل عليه هذه العبارة ؟!

فقال أبى : أنت تعلم يا إبنى أن جسد السيد المسيح قد صُبَّت عليه أطياب و حنوط بكثرة عظيمة . هذه الأطياب و الحنوط كانت كافية أن

تلصق الأكفان بالجسد لصقا شديدا بحيث يكون مستحيلا فصلها عن بعضها بسهولة .

فوجود الأكفان و المنديل وحدهما ، دون وجود الجسد ، معناه أن معجزة قد حصلت . معجزة إلهية . و أن سيدنا له المجد قد تخلص من الأكفان بطريقة عجيبة و قام ممجدا من الأموات .

قلت : هذا كلام جميل يا والدى . و لكن ما معنى أن تكون الأكفان فى ناحية و المنديل فى ناحية أخرى ؟

قال أبى : إن هذا يدل على أن جسد السيد المسيح لم يسرق كما يدعى اليهود كذبا .

قلت : كيف ذلك ؟

قال أبى : إذا أراد اللص أن يسرق صندوقا صغيرا به جواهر، فكيف يضيّع الوقت و الجهد فى كسر الصندوق ليحصل على الجواهر وحدها ؟ أليس الأسهل له أن يسرق الصندوق بما فيه ؟ هكذا ، لو كان جسد السيد المسيح قد سرق ، فلماذا يضيع السارقون وقتا فى نزع الأكفان و المنديل عن جسد الطاهر ؟ أليس الأسهل أن يسرق الجسد بمنديله و أكفانه ؟

و لنفرض أن سارقا سرق الجسد، فلا بد أنه من الخوف يبعثر الأكفان و المنديل معا و يلقيهما بإهمال . و لكن وجود الأكفان مطوية بعناية فى مكان ، و المنديل مطويا بعناية فى مكان آخر ، دليل على أن ذلك لم يكن فعل سارق مضطرب خائف ، و لكنه فعل شخص يخرج بهدوء من أكفانه بطريقة غريبة سامية . إنها معجزة القيامة يا ولدى .

قلت : سبحان الله ! .. هذه معلومات جديدة لم أكن أعرفها . لنقرأ بقية من القصة يا أبى : « أما مريم فكانت خارجا تبكى . و فيما هى تبكى انحنت إلى القبر ، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا

عند الرأس ، و الآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا . فقالا لها يا إمرأة لماذا تبكين ؟!

فقالت لهم : إنهم أخذوا سيدى . و لست أعلم أين وضعوه . و لما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا و لم تعلم أنه يسوع .

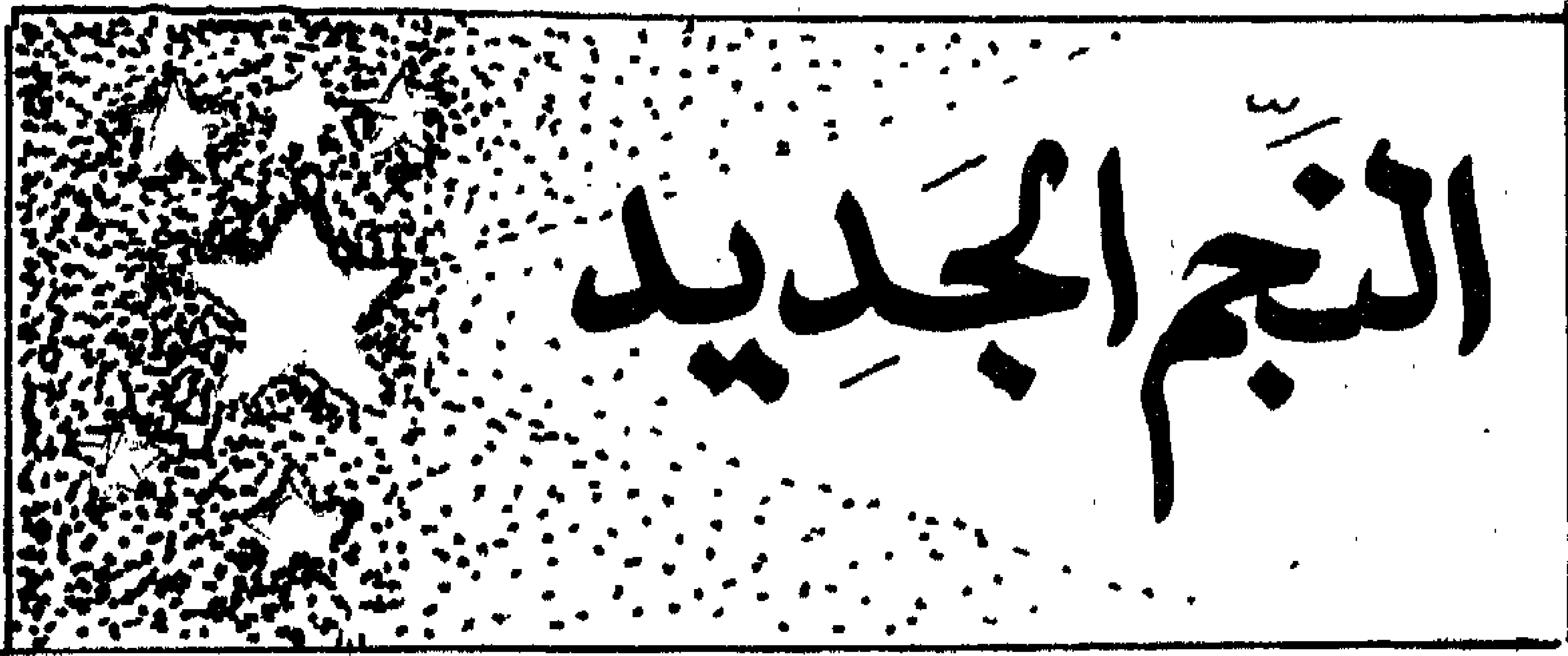
قلت : يا أبى . ما الذى جعل مريم تلتفت إلى الوراء أثناء حديثها مع الملاكين ؟ إن هذا فيه غرابة .

قال أبى الكاهن : يبدو أن السيد المسيح له المجد قد ظهر وراءها عندما كانت تقول هذا الكلام . و كان ظهوره - له المجد - فجائيا ، فظهر على شكل الملاكين و حركتهما و نظراتهما ما يدل على أنهما رأيا السيد المسيح .

فاستدارت المرأة إلى الخلف لترى من هناك . و كان السيد المسيح له المجد .

قلت : يا أبى لقد أطلت كلامى و لكننى أرجو أن تصبر حتى أقرأ و أتفهم بقية القصة « فظنت أنه البستانى فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته و أنا آخذه . فقال لها يسوع يا مريم فالتفتت و قالت يا معلم . قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد » لماذا قال لها السيد المسيح لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد ؟!

قال أبى : لقد أراد مخلصنا أن يوضح لها أنه فى طريقه إلى السماء ، ممجدا ، إلها عظيما . فإن كان فى الماضى يأذن للبشر و الخطاة و الضعاف أن يلمسوه و يجالسوه . فإن الحال بعد قيامته من الأموات قد تغير . يجب أن ننظره باحترام و خوف و رهبة . لأنه سيصعد ، و سوف يأتى ليدين العالم و هو فى مجد رائع مخيف . فليعطنا الرب نعمة يا ولدى أن نكون من سكان أورشليم السمائية و أن ننظر إلى الأبد وجه إلهنا المجيد .



† نظرية القديس يوحنا ذهبى الفم فى طبيعة النجم الذى ظهر للمجوس .

† « هو قوة غير منظورة إتخذت شكلا منظورا » .

† و الأدلة : تعيينه بدقة موضع المذود .

† وظهوره نهارا بضوء يفوق ضوء الشمس .

† .. و ظهوره و اختفاؤه على التعاقب بدون أن يكون له خط سير محدد .

كنت أتأمل فى قصة ميلاد ربنا يسوع المسيح كما رواها القديس معلمنا متى البشير .

و وجدت سؤالا يقفز إلى ذهنى ، حين قرأت عن نجم المجوس ، و كيف أنه كان يسير حيث كانوا يسيرون ، و كيف أنه توقف حيث كان الرب يسوع مضجعا فى المذود . و كان السؤال : كيف يمكن لذلك النجم العالى أن يهدى الناس إلى مكان صغير محدد هو المذود الضيق المحتقر ؟!

إن القمر - مثلا - ذلك الكوكب الذى يعكس على أرضنا ضوء الشمس ، لا يمكن أن يتخذ دليلا يرشد الناس إلى منزل معين ، لأن القمر شديد الإرتفاع عن الأرض . و كذلك بقية كواكب السماء و نجومها . فهل كان لنجم الميلاد شأن آخر ؟

و تقدمت بسؤالي إلى أبي الكاهن .

فتبسم و قال : إنه سؤال وجيه يا ولدى و لا شك . و لقد ذكرنى برأى القديس يوحنا ذهبى الفم الذى أعلنه عند تفسيره للإصحاح الثانى من إنجيل معلمنا متى البشير . ذلك الرأى الذى يقول : لم يكن النجم الذى ظهر للمجوس نجما عاديا ، و لا كوكبا من الكواكب المعتاد رؤيتها فى السماء .

قلت : إذن ماذا كان ؟!

قال أبى : عبّر القديس يوحنا ذهبى الفم عن رأيه فى النجم بهذه العبارة :« هو قوة غير منظورة إتخذت شكلا منظورا » .

قلت : حبذا أن تزيدنى إيضاحا .

قال أبى : معنى العبارة أن إظهار النجم كان معجزة سماوية ، شيئا غير معتاد و لا خاضع للقوانين المعروفة . كان النجم شيئا يحركه الإله فى الإتجاه الذى يريده دون التقيد بقاعدة علمية بشرية .

قلت : و كيف تصلح عبارة القديس ذهبى الفم إجابة لسؤالى الذى بدأنا به الحديث ؟

قال أبى : هذا الشكل المنظور حينما حدد مكان المذود ، كان قد اقترب من الأرض اقترابا شديدا جدا . لدرجة أنه حدد الموضع حيث كان الرب يسوع مضجعا . و بدون افتراض هذا الإقتراب الشديد لا يمكن أن يصلح نجم أو كوكب - كما قلت فى بدء الحديث - أن يشير إلى منزل بالذات .

قلت : هذا رأى جديد لم أكن أعرفه . هل هناك آراء أخرى وضعت لتفسير تحركات نجم الميلاد كما وردت فى الكتاب المقدس ؟

قال أبى : نعم . و لكنى - شخصيا - أميل إلى الأخذ برأى القديس يوحنا الذى ذكرته .

قلت : لماذا ؟

قال أبى : لأنه يتمشى مع تفاصيل قصة الميلاد عن المجوس و يفسرها بوضوح .

قلت : كيف ؟

قال أبى : أولا : لم يكن النجم الذى ورد ذكره فى إنجيل معلمنا متى يسير من المشرق إلى المغرب - كما تسير سائر الكواكب - بل كان يتجه من الشمال إلى الجنوب . هكذا تقع فلسطين من بلاد فارس . مما يدل على أنه ليس نجما عاديا .

ثانيا : لم يكن نجم المجوس يضئ فى الليل فقط ، بل كان يضئ أيضا فى رائعة النهار ، إذ كانت الشمس مشرقة . و هذا لا يمكن أن يتأتى من نجم عادى .

قلت : نعم . حتى القمر نفسه - و هو أسطع الكواكب - يخبو نوره و يتوارى حينما تظهر الشمس .

قال أبى : أما نجم الميلاد فمن شدة لمعانه الخاص ، قد طغى على أشعة الشمس ظاهرا أكثر منها نورا و بهاء .

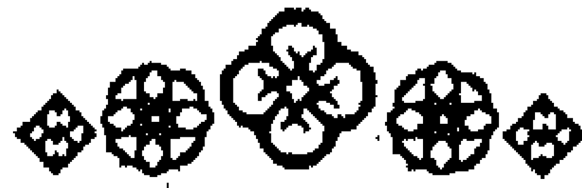
و الدليل الثالث على أن نجم الميلاد لم يكن عاديا هو : ظهوره و اختفاؤه على التعاقب .

قلت : ما معنى هذا ؟

قال أبى : ظهر النجم للمجوس قائدا إياهم حتى فلسطين ، و لما

بلغوا أورشليم غاب عنهم حينا، ثم حينما كانوا على وشك مغادرة المدينة ، (بعد أن تركوا هيرودس و أخبروه بالأسباب التى جاءوا من أجلها) ، أظهر لهم نفسه من جديد **مما يدل على قوة عاقلة لا على حركة نجم** ، لأنه لم يكن له سير محدد . فكان يسير حينما كانوا يسيرون ، و يقف حينما يقفون ، مراعيا فى كل شئ مقتضيات السفر ، كعمود الغمام الذى كان يشير على اليهود متى كان يجب على معسكرهم أن يسير أو يقف .

و هنا طرق بابنا ضيف يقصد مقابلة أبى ، فقام لاستقباله ، و ذهبت إلى غرفتى شاكرا أبى على إجابته لسؤالى إجابة شافية ، و على إعطائه إياى معلومات جديدة طريفة .





† الغرض من وجود الأنوار فى الكنيسة .
† لماذا تضاء الأنوار عند تقديس سر التناول ؟
† صلاة إيقاد الشموع .
† لماذا تضاء الأنوار عند قراءة الإنجيل ؟
† قنديل الشرق و شموع الأيقونات .
† الإضاءة بشمع النحل و زيت الزيتون .

خرجت من الكنيسة ذات يوم بعد انتهاء القداس ، و فى رأسى سؤال : « لماذا تضاء الأنوار الكهربية فى الكنيسة رغم أن الوقت نهار ، و ضوء الشمس منتشر بدرجة تكفى للرؤية بوضوح » ؟

لماذا هذا العدد الكبير من الثريات (النجف) ؟

و هذه الشموع المنيرة هنا و هناك ؟

أليس هذا إسرافا و تبذيرا ؟

و انتهزت فرصة كان فيها أبى الكاهن بجوارى غير منشغل ،(و من النادر أن أجد أبى يستمتع بوقت فراغ ، فتقدمت و صارحته بالسؤال . فابتسم ، و قال :

هل تظن يا ولدى أن الغرض من الأنوار هو مجرد الإضاءة بحيث

يمكن الإستغناء عنها بالنهار ؟ . . كلا . . إن الكنيسة تحرص على إضاءة الأنوار فيها لأغراض أخرى كثيرة . .

إن الكنيسة تشابه السماء . فكما أن السماء مضاءة بأنوار متلألئة كثيرة ، كذلك جعلت الكنيسة مضاءة بأنوار كثيرة . .

و الحقيقة يا ولدى أن الكنيسة لا تقل جمالا و قداسة عن السماء ، ذلك لأنها بيت الله ، و لأنه - تعالى - موجود فيها . . و مجده يملؤها فى عموم الساعات ، و على الأخص عند صلاة القداس و رفع القرابين .

قلت : لقد ذكرتنى يا أبى بعبارة مكتوبة فى كتاب « الأجبية » « صلاة الساعات » و فيها نقول للرب :« إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس، نحسب كالقيام فى السماء » .

قال أبى : نعم يا ولدى . .

و هذه الأضواء كذلك تذكرنا بوطننا السماوى - بعد القيامة من الأموات - حيث وصف القديس يوحنا - كاتب سفر الرؤيا - مجد السماء الجديدة التى يسكن الله فيها مع الناس .

قال القديس يوحنا : « ثم جاء إلى واحد من الملائكة ، و ذهب بى إلى جبل عال و أرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة . . لها مجد الله . . و لمعانها شبه أكرم حجر بللورى . . و المدينة لا تحتاج إلى الشمس و لا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها »(رؤ ٢١ : ٩ ، ٢٣).

قلت : ربنا يجعل لنا نصيبا مع الداخلين فى تلك المدينة المنيرة .

قال أبى : آمين . يا ولدى . آمين .

قلت : لاحظت يا أبى أن على المذبح شمعتين كبيرتين تظلان طوال وقت تقديس القرابين .

قال أبى : إنها إشارة إلى الملاكين اللذين وجدا عند قبر السيد المسيح . واحد عند الرأس و الآخر عند القدمين .

قلت : و لماذا تضاء الأنوار و يمسك شمامسة الهيكل بالشموع حينما يقول الأب الكاهن الصلوات الخاصة بتقديس سر التناول ؟

قال أبى : لنتذكر أن السيد المسيح الكائن معنا على المذبح كله مجد و عظمة . قال القديس يوحنا البشير عن ربنا له المجد أنه .. « كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم » (يو ١ : ٩) . و قال عنه داود النبى : « اللابس النور كثوب » (مز ١٠٤ : ٢) .

و ما أجمل أن يفكر الشخص المقبل على التناول فى ذلك الضوء المحيط بالقربان المقدس . إن من يعترف بخطاياه و يتوب عنها و يتناول باستحقاق ، يدخل فى قلبه نور الله ، كما استنار موسى النبى حين اقترب من الله . فصار وجهه يلمع لدرجة أن الشعب خاف منه فكان يضع على وجهه برقعا (خروج ٣٤ : ٢٩ - ٣٣) .

ثم أن من يتقدم للتناول يبدأ عهدا جديدا ، يودّع فيه الشر المظلم ، و يستقبل حياة الصلاح المنيرة . لأن فادينا قال : « أنا هو نور العالم ، من يتبعنى لا يمشى فى الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » (يو ٨ : ١٢) .

و هذا هو المعنى الذى يذكره الشخص الذى يقوم بإيقاد الشموع .

قلت : هل تقال صلوات عند إيقاد الشموع ؟

قال أبى : نعم . يقال : « بنورك (يا رب) نرى نورا » (مز ٣٦ : ٩) « فارفع علينا نور وجهك يا رب »(مز ٥ : ٦) و « أبهجنا (فرحنا) بإشراق ضيائك الإلهى و حبك المبهج » .

قلت : لماذا تضاء الشموع وقت قراءة الكتب الإلهية ؟ و لماذا توضع شمعة مضيئة إلى يسار الإنجيل عند قراءته و شمعة أخرى عند اليمين ؟

قال أبى : هذه الأضواء للدلالة على نور الإنجيل الذى يصل إلى كل أقطار العالم ، و للدلالة على أن كلام الله هو نور . ألم تحفظ الآية التى قالها داود النبى مكلما الرب : « سراج (مصباح) لرجلى كلامك . و نور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥) . ألم تقرأ الآية التى قالها سليمان الحكيم : « لأن الوصية مصباح ، و الشريعة نور ، و توبيخات الأدب طريق الحياة » (أم ٦ : ٢٣) . و إحدى الشمعتين الموقدتين على الإنجيل تشير إلى نور بشائر و رسائل العهد الجديد ، و الشمعة الأخرى تشير إلى نور آيات العهد القديم . قال القديس بطرس الرسول : « و ثابت عندنا كلام الأنبياء الذى تفعلون حسنا إن انتبهتم إليه كما إلى سراج منير فى موضع مظلم » (٢ بط ١ : ١٩) .

قلت : و الشمعة التى تتقدم الإنجيل عند قراءته ؟!

قال أبى : هذه تشير إلى القديس يوحنا المعمدان ، الذى ذكر عن نفسه أنه كان « السراج الموقد المنير » الذى يجهز الطريق أمام الرب يسوع النور الحقيقى .

قلت : بمناسبة الحديث عن الشموع لاحظت أنك يا أبى تثبت أحيانا شمعة مضيئة فى الصليب الذى تبارك به الشعب .

قال أبى : فى هذا إشارة إلى أن السيد المسيح الذى سمر على الصليب هو نور العالم ، و أنه بالصليب نقلنا من الظلمة إلى النور .

قلت : و لاحظت - فى كثير من الكنائس التى زرتها - وجود « قنديل » فى الحائط الشرقى للهيكل . هل لهذا القنديل معنى خاص كذلك ؟

قال أبى : نعم . إنه يشير إلى النجم الذى ظهر فى المشرق و أرشد المجوس إلى الموضع الذى كان فيه الطفل يسوع ، و يسميه الأروام « الاستريكوس » أى النجم .

قلت : و لماذا تضاء الشموع و المصابيح أمام أيقونات الرسل و العذراء و القديسين و الشهداء ؟

قال أبى : إننا نتذكر بهذا أنهم كانوا نورا للعالم . كما قال السيد المسيح : « أنتم نور العالم » (مت ٥ : ١٥) و أنهم كالكواكب المتلألئة فى سماء الكنيسة . قال ربنا أيضا عن مصير القديسين : « حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » (مت ١٣ : ٤٣) . ففى إيقاد الشموع أمامهم تكريم لهم ، و اعتراف بفضل شفاعتهم عنا .

هذا إلى جانب أن منظر الشمعة المنيرة يمثل منظر الصالحين المؤمنين الذين ضحوا بأنفسهم لينيروا للآخرين . و كأن الشمعة تنادى من ينظر إليها : « تعلم منى أيها الإنسان ! إننى أتناقص و أحترق فى صمت لأنير لغيرى . إعمل أنت هكذا .. عش خادما لإخوتك و أنر لهم الطريق ، و لا تنتظر مكافأة أو مديحا . يكفى أنك بددت الظلام » .

قلت : هل تشترى الكنيسة الزيت و الشمع اللازمين للإضاءة ؟

قال أبى : إن واجب المسيحيين أن يقدموا هذا إلى الكنيسة ، لكى تشملهم البركة التى يطلبها الكاهن من الله دائما لكل الذين يهتمون بإحضار ما يلزم بيت الرب من « القرابين ، و الخمر ، و الزيت ، و الستور ، و البخور و كل أوانى المذبح » .

قلت : هل تصلح كل أنواع الشمع و الزيت لتقديمها إلى الكنيسة ؟

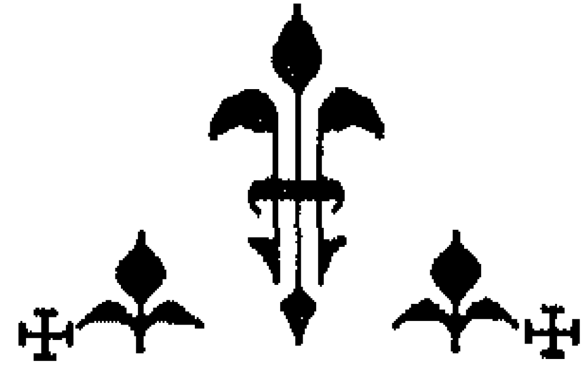
قال أبى : لا . إن الواجب تقديم شمع النحل و زيت الزيتون دون غيرهما .

قلت : لماذا ؟

قال أبى : الشمع النحلى يفضل على غيره ، نظرا لأنه نقى و ذو نور بهى . و هو خال من الدهون و الشحوم الدسمة ذات الرائحة الردية الموجودة فى الشموع الأخرى و الممنوع تقديمها فى خدمة الهيكل الجديد. ثم لأن النحل يجنيه خالصا من أنواع النباتات و الزهور ذات الرائحة العطرية ، و هذا إشارة إلى أن المسيحيين يجب أن تكون حياتهم نقية فاضلة .

أما زيت الزيتون فيستعمل لأنه الزيت الذى أمر الله بتقديمه فى العهد القديم حين قال لموسى النبى : « و أنت تأمر بنى إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون نقيا للضوء لإصعاد السراج دائما » (خر ٢٧ : ٢٠). و زيت الزيتون يستعمل فى الطب ليلين به الجلد و تلتئم الجروح . ثم إن زيت الزيتون يشير إلى الأعمال الصالحة التى يجب أن يقدمها الشخص المسيحى بالرحمة و المحبة ، و بدونها لا يكون لإيماننا فائدة ، بل نشبه العذارى الجاهلات اللواتى أخذن مصابيحهن و لم يأخذن معهن زيتا .

قلت : شكرا يا أبى . قد أكون أطلت الكلام اليوم . و لكن ، لقد تكشفت لى فى الكنيسة - بعد هذا الحديث - أشياء جميلة لن أغفل عنها بعد ذلك بإذن الله .





† أيام المجتهد تكون حياة جميلة .
† الأيام الضائعة تشوه الحياة .
† المواظبة على استعمال وسائط النعمة خطيرة للغاية .
† فلنسلم للرب كل أيامنا : حلوها و مرها .

قام فتيان فصلنا بمدارس التربية الكنسية برحلة مع خادم الفصل ، إلى حديقة الحيوان . و كان أبى الكاهن موجودا معنا .

و بعد أن مارسنا فى ذلك اليوم ألوانا مختلفة من النشاط ، جلسنا بهدوء بعد تناول الغداء ، و دارت بيننا أحاديث ، أنقل إليكم اليوم واحدا منها ، إخترته لأننى خرجت منها بفائدة كبيرة مع أن ما أوصلنا إليه لم يكن فصلا من الكتاب المقدس أو سيرة قديس أو سؤالا دينيا ، بل كان تأملا فى أرضية ممرات حديقة الحيوان !!

قال أحد زملائى الفتيان : ما أجمل منظر أرضية هذه الممرات التى أمامنا ! أنظروا ! إنها من الزلط الملون ، المرتب ببراعة و فن ، لقد استطاع من ثبتها هنا أن يظهر لنا أشكالا زخرفية غاية فى الإبداع .

قال أبى الكاهن : لقد خطرت لى الآن أفكار تأملية تربط بين هذه الأشكال الزخرفية و بين حياة المؤمن فى الدنيا ، و لكننى لا أود أن أصرح

لكم بهذه الأفكار ، بل أستحسن أن تستنتجوها ، فانظروا إلى هذه الأرض المنقوشة و قولوا لى : ما وجه الشبه بينها و بين حياة المؤمن ؟!

و هنا سادنا الصمت فترة ، قال بعدها أحد إخوتى الفتيان ، و هو مشهور بذكائه النادر .

قال : إنى أرى أن أول وجه للتشابه هو أن الأرضية مكونة من وحدات هى الزلط ، و حياة الإنسان مكونة من وحدات هى الأيام . فكما أن الزلط حين يضم بعضه إلى بعض بفن ، يكوّن الشكل الجميل ، هكذا حين تنضم أيام المجتهد الأمين إلى بعضها تكوّن حياة جميلة تلفت الأنظار.

قال أبى لذلك الفتى : بارك الله فيك يا ولدى . نعم ، هذا بعض ما قصدته ، و دعنى أزده إيضاحا : إن كل زلطة منفصلة تحدث فجوة تشوّه منظر الأرض و تقلل من متانتها ، و هكذا الأيام التى تضيع من حياتنا تشوّه جمالها . يجب أن نحرص على أن نكسب كل يوم من أيامنا .

قال أحد الزملاء : و كيف نكسب كل يوم من أيامنا

قال أبى : نكسبه بأن ننفذ فيه مشيئة الله ، بأن نزداد اقترابا من الله . يجب ألا نسمح مطلقا بأن يمر يوم واحد دون أن نصلى فيه و نتأمل كلام الرب فى الكتاب المقدس ، و نقرأ - و لو صفحات - من الكتب الدينية المفيدة ، و نؤدى واجبنا نحو الجميع على أتم وجه ممكن .

إن يوما واحدا يمر بنا ، دون أن نجنى فيه كل هذا - هو يوم مضاع . هو فجوة تشوّه منظر حياتنا .

لا تكتسب الحياة الروحية القوية - يا أولادى - من مجهودات متناثرة متباعدة ، بل من مجهود متكرر يومى منظم . إن عنصر المواظبة على الصلوات و القداسات و الإعتراف و التناول - عنصر خطير للغاية ، إنه الذى يكوّن فى النهاية - من المجهودات التى تبدو بسيطة - شيئا قويا عظيم الأثر .

و مرة أخرى سادنا الصمت ، تتشرب فيه نفوسنا على مهل كلمات أبى الكاهن . ثم قال خادم الفصل : إنى أرى - يا أبى - وجها آخر للتشابه بين هذه « اللوحة » و بين حياة المؤمن : ليس الزلط كله ذا لون واحد ، إن بعضه أبيض و بعضه أسود ، و لكن الفنان تمكن من تنسيقه بحيث أنتج منظرا جذابا . و هكذا أيامنا ، قد نعيّش بعضها فى راحة و يسر ، و بعضها فى ضيق و عسر ، و لكن ، حين نسلم لله الأيام كلها - حلوها و مرها - و نكون أمناء فيها جميعا - تبدو حياتنا فى النهاية كقصة محبوكة محببة ، رغم اختلاف ما يبدو على بطلها من انفعالات .

قال أبى : نعم يا ولدى، هذا حق ، و لعلكم تذكرون - يا أبنائى - يوسف الصديق الذى كان أمينا لله فى أيام يسره فى منزل والده ، و فى أيام عسره فى السجن ، ثم فى أيام تسلطه فى مصر . لقد كونت أيامه وحدة حلوة ، و قصة رائعة تناقلتها الناس ، جيلا بعد جيل . الرب يعيننا على أن نسلم كل حياتنا له ، لنفوز برضاه فى الختام .





† معنى : أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها .
† الطيور الطاهرة و الطيور (النجسة) .
† الأطعمة المذبوحة للأوثان .
† تفسير : « قبل أن يصيح الديك مرتين » .
† وقت صياح الديك – هزع الليل الأربعة .

بقرب حظيرة الدجاج فى منزلنا الريفى دار هذا الحديث الذى أنقله لكم .

قلت لأبى الكاهن : ما أجمل منظر هذه الطيور ! ها هى دجاجة تسير و خلفها أفراخها ، و ها هى دجاجة أخرى راقدة تحتضن البيض ، و ها هو ديك يسير فى اعتزاز و غرور .

قال أبى : ألم تتذكر إحدى آيات الكتاب المقدس الآن ؟!

قلت : تذكرت الآية التى قالها الرب للأمة اليهودية : « كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها و لم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) .

قال أبى : بارك الله فيك ! إن فى هذه الآية إشارة إلى حنو

الدجاجة ، و لعلك تعرف أن القطة الصغيرة ، إذا اقتربت من الدجاجة ، فإن الأم تدافع عن فراخها و تحاول أن تطرد القطة بكل ما أوتيت من قوة و كل ما تملك من وسائل .

آه يا ولدى ! بائسة هذه الأمة اليهودية التى رفضت السيد المسيح ، فاستحقت اللعنة ، و استحقت ديارها الخراب .

كان السيد المسيح يرى - و هو كاشف المستقبل - أن الرايات الرومانية (المشكلة بهيئة النسر) سترتفع بجوار المدينة المقدسة . و كان يود أن الأفراخ الخائفة من أورشليم (بنى إسرائيل) يلتفون حوله ليخلصهم من النسر المفترس ، و لكنهم لم يريدوا ، إن هذه الرايات الأجنبية المحتوية على صور الأصنام الرجسة هى المسماة بـ « رجسة الخراب » . و قد حذّر السيد المسيح منها قائلا : « و متى رأيتم رجسة الخراب قائمة فى المكان المقدس ، فحينئذ يهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال » (مت ٢٤ : ١٥) .

قلت : طرأ علىّ الآن سؤال : « هل كانت الشعوب القديمة تأكل الطيور مثلنا ؟ » .

فتبسم أبى و قال : نعم . و لكن عند اليهود قديما طيور طاهرة يباح أكلها ، و طيور نجسة لا يباح أكلها ، و كان بين الطيور النجسة أكثر الكواسر مثل النسر و العُقاب و الحدأة (تث ١٤ : ١٢) .

قلت : و هل عند المسيحيين أطعمة طاهرة و أطعمة نجسة ؟!

قال أبى : لا . و بهذه المناسبة أذكر لك أنه عند تأسيس الكنيسة المسيحية ، إختلف المسيحيون كثيرا فى أمر الأطعمة المذبوحة للأوثان ، فاعتقد بعض المؤمنين بأن الوثن لا شئ ، و أن السيد المسيح قد ألغى التمييز بين الأطعمة الطاهرة و النجسة ، فأخذوا يأكلون من كل ما يقدم لهم بدون سؤال أمذبوح للوثن أم مذبوح لغير الوثن .

قلت : و ماذا كان حكم الكنيسة ؟

قال أبى : أوضح القديس بولس الرسول أن الوثن لا شئ ، و أنه يجوز للإنسان أن يأكل كل ما يباع فى الملحمة ، و كل ما يقدم له على مائدة غير المؤمن ، لأن كل شئ طاهر للطاهرين .

قلت : و هل كان الأقدمون يأكلون البيض ؟!

فتبسم أبى ثانية و قال : ألا تعرف من الآيات ما يجيبك على هذا السؤال ؟

و فكرت فترة ثم قلت : لا ! .

فقال أبى : ألم تسمع قول السيد المسيح : « فمن منكم و هو أب يسأله إبنه خبزا فيعطيه حجرا . . و إذا سأله بيضة أفيعطيه عقربا » (لو ١١ : ١٢) .

قلت : صحيح يا أبى ! . إن الله أبونا . و لن يعطينا إلا العطايا الجيدة ، إن كنا نصلى إليه بإيمان و لجاجة .

و مرت فترة صمت قطعتها بقولى : إن هذه الديوك التى أراها أمامى ، قد ذكرنى منظرها بسؤال كنت أود أن أطرحه من زمان .

فى حادث إنكار بطرس للسيد المسيح . قيل مرة « قبل أن يصيح ديك » ، و فى موضع آخر : « قبل أن يصيح ديك مرتين » . فما تفسير ذلك ؟

قال أبى : من المرجح أن معنى النصين واحد ، بحيث أن الديك صاح مرتين ، و ليس من الخطأ - إذا صاح ديك مرتين - أن نكتفى عندما نصف ذلك - بأن نقول : « صاح الديك » . فالعبارة الثانية التى ذكرتها

حددت عدد مرات الصياح ، و لكن ذلك لا يناقض العبارة الأولى التى لم تحدد عدد المرات . . أفهمت ؟!

قلت : نعم . بقى عندى سؤال واحد : قرأت فى إنجيل القديس مرقس : « فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت : أمساءاً أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا » (مر ١٣ : ٣٥) . فهل هناك وقت محدد بصياح الديك ؟

قال أبى : هذا سؤال وجيه . فى العهد الجديد إنقسم الليل إلى أربعة أقسام ، يسمى كل منها هزيعا ، و مدة كل منها ثلاث ساعات . القسم الأول (و يسمى المساء) من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، و القسم الثانى (و يسمى نصف الليل) من الساعة التاسعة إلى منتصف الليل ، و القسم الثالث (و يسمى صياح الديك) من منتصف الليل إلى الثالثة صباحا ، و القسم الرابع (و يسمى الصباح) من الساعة الثالثة إلى السادسة .

و المقصود برب البيت فى هذه الآية هو الرب يسوع ، و المقصود بالسهر هو أن يكون الإنسان فى كل وقت منتبها واعيا ، لا يسمح لنفسه بارتكاب الشر بأية صورة ، لئلا تنتهى الحياة فجأة فيصدر الحكم بلا رحمة على الشرير .

فليس الموت يقتصر مجيئه على الشيوخ (و يشار إلى الشيخوخة بعبارة نصف الليل) . فقد يجئ الموت و يختطف الناس فى سن الطفولة (و يشار إليها بصياح الديك) أو فى سن الشباب (الصباح) أو فى سن الرجولة (المساء) . و واجب الإنسان - كما قلت لك - أن يكون مستعداً للقاء ربه فى كل وقت .





† لماذا يترك الموظف « لاوى » عمله استجابة لنداء من كلمة واحدة « إتبعنى » ؟
† ما معنى « مكان الجباية » ؟
† سر كراهية الشعب اليهودى للعشارين .
† كيف كانت تجمع الضرائب من الشعب : نظام الشركات - نظام العشارين و الجباية - طرق تقدير الضرائب ؟

عندما كنت أقرأ فى الكتاب المقدس ذات يوم توقفت عند هذه الآية :« و فيما هو (السيد المسيح له المجد) مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالسا عند مكان الجباية ، فقال له اتبعنى فقام و تبعه » .

توقفت عند هذه الآية لأنى وجدتها - و هى آية واحدة فقط - تحوى قصة كاملة .و عجبت للطاعة السريعة التى قَبِلَ بها لاوى دعوة السيد المسيح ، ما سر هذا القبول العاجل جدا ؟

و انتهزت فرصة سنحت لى ، فتقدمت إلى أبى الكاهن .

قلت : كيف يترك رجل عمله و مكان عمله ، لمجرد كلمة واحدة « إتبعنى » ؟

قال أبى : إقرأ لى الآية التى تسبق آية السؤال .

فقرأت : « ثم خرج (السيد المسيح) أيضا إلى البحر و أتى إليه كل الجمع ، فعلمهم .

قال أبى : أتعرف أى بحر كان هذا ؟ و ما معنى « مكان الجباية »؟

قلت : لا .

قال أبى : كان هذا البحر هو بحر الجليل فى شمال أورشليم . أما مكان لجباية فهو إدارة الجمارك ، هل سمعت عن الجمارك قبل هذا ؟

قلت : نعم . إنها مكان أخذ الضرائب على البضائع التى تصل إلى الموانئ .

قال أبى : نعم . و على ذلك فاعرف - أولا - أن لاوى كان موظفا لتحصيل الرسوم الجمركية ، و كان ذلك المكان من شاطئ بحر الجليل ، مناسبا لعملية التحصيل لأنه كان مرسى للسفن التى تعبر بحر الجليل ، و محطا للمسافرين فى طريق التجارة العام .

قلت : و لكن كيف يترك هذا الموظف عمله إستجابة لنداء من كلمة واحدة ؟

قال أبى : لم تكن كلمة « إتبعنى » هى أول كلمة سمعها « لاوى » من السيد المسيح . إن السيد - له المجد - كثيرا ما كان يعلم الناس و هو جالس قرب مكان الجباية على الشاطئ حيث تزدحم جماهير المسافرين و لا شك أن لاوى قد سمع - أكثر من مرة - تعاليم السيد المسيح ، تلك التعاليم السامية الممتلئة من ذكر المحبة و السلام و قبول الخطاة . فأحس الرجل أنه أمام شخص عظيم جدا و عطوف جدا بخلاف اليهود و رؤسائهم الذين كانوا يكرهون جامعى الضرائب (العشارين) كراهية لا توصف .

فمال قلب لاوى إلى السيد المسيح ، و استمر ذلك فترة طويلة حتى وصلت إليه الدعوة الصريحة فأطاع فورا .

قلت : بدأت الآن أفهم .

قال أبى : و لعل لاوى قد شاهد دعوة الرسل الأولين للصيادين ، أصحاب السفن فى بحر الجليل ، و كيف تركوا شباكهم و استجابوا لدعوة الرب . . و لاحظ لاوى أن رؤساء اليهود قد احتسبوا السيد المسيح خاطئا ، لا لسبب تعاليمه فهى سامية رائعة ، و لكن لأنه - له المجد - كان يعطف على الخطاة و المذنبين و العشارين . فكان ذلك مشجعا لذلك الموظف المكروه المنبوذ ، الذى لم يكن عنده أمل أن يتنازل السيد المسيح فيدعوه دعوة خاصة ليكون من تلاميذه . فأحس غبطة و ارتياحا حين دعاه الرب . و نفذت نظرة السيد المسيح إلى قلبه ، فأطاع لوقته .

قلت : شكرا يا أبى . صار الأمر واضحا الآن كل الوضوح . . و لكنى لمحت خلال كلامك يا أبى أن العشارين جامعى الضرائب كانوا مكروهين من اليهود كراهية عميقة لا توصف . و سمعت هذا أيضا فى قصة زكا العشار القصير القامة . فلماذا هذه الكراهية ؟ إننا الآن - فى جمهوريتنا - ندفع « رسوم العوائد » المفروضة على المنازل ، و ندفع ضرائب مختلفة ، و لكننا لا نكره الموظفين الذين يجمعونها ، بل أحيانا نكرمهم .

قال أبى : هذا موضوع آخر طويل . لأنه يتطلب معرفة « كيف كانت تجمع الضرائب من الشعب »

إعلم أولا أن أرض فلسطين كانت فى ذلك الزمان إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية ، و كانت الضرائب أولا تدفع هكذا :

تتكون شركات من الفرسان الرومانيين ، و كل شركة تعرض على الحكام فى روما - عاصمة الإمبراطورية - مبلغا كبيرا من المال نظير أن

تتولى الشركة جمع الضرائب من الشعب اليهودى ، فكان هناك ما يشبه المزاد بين الشركات . هل تعرف معنى المزادات ؟

قلت : نعم نعم . و قد حضرت - أنا نفسى - بعض المزادات .

قال أبى : و طبعا كان حكام روما يعتمدون الشركة التى تدفع أكبر مبلغ و يعطونها الحق فى تحصيل الضرائب . فتستخدم الشركة العشارين و الجباة تحت إدارتها ، فيرهقون الشعب ليجمعوا المبلغ الذى دفع و أكثر . و لكن قيصر أصدر بعد ذلك مرسوما بإبطال هذه الطريقة ، و قرر أن تجبى الأموال على يد العشارين فى اليهودية ، و تدفع مباشرة إلى الحكومة المحلية التى تتولى توريدها إلى روما .

و كان الحكام المحليون - لا الشركات - يعينون المستخدمين للقيام بالتحصيل .

قلت : هذه الطريقة الأخيرة أرحم من طريقة الشركات الأولى .

قال أبى : لكن لا تنسى أنها جعلت الجباة و العشارين موضعا لكراهية و احتقار أشد .. من ناحية الشعب الذى نظر إليهم كموظفين رسميين من عند السلطة الوثنية .

قلت : ألم يكن هناك نظام موضوع لأخذ الضرائب بحيث لا يظلم الموظف الشعب ؟

قال أبى : كانت هناك قواعد و لكن يدخل فيها عنصر « التقدير » .

قلت : كيف ؟

قال أبى : ضرائب الأرض - مثلا - تقدر على أساس عُشر محصولات الحبوب و خُمس إنتاج الفواكه و الكروم . بعضها يدفع عينا (من الحبوب أو الفواكه .. إلخ) و بعضها يقدر بالمال . ألا ترى أن فى

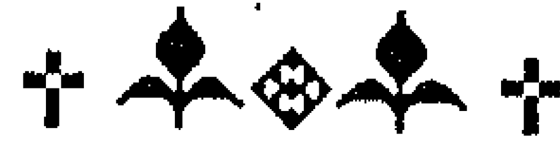
هذا مجالا للظلم و القسوة ؟ و بخاصة أن الشخص الذى يُظلم كان لا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه أو سلطة أعلى يشكو إليها .

و الرسوم الجمركية فيها مجال للمضايقة : رسوم للبلدية .. رسوم للسير فوق الكبارى ، ضرائب على المركبات و على حيوانات الحمل و على حيوانات الجر ، و على الدخول فى الأسواق إلخ .. إلخ .

هذا إلى جانب مضايقة الناس بوقفهم فى الطريق و إرغامهم على إنزال أحمال دوابهم ، و حل كل حزمة و صرة لمعرفة محتوياتها .

قلت : يا إلهى !! إن هذه إجراءات صعبة . الآن عرفت سر كراهية الشعب للعشارين . صحيح أن الرب يسوع - له المجد - قدير و مؤثر ، لأنه استطاع أن يغير قلوب كثيرين من أولئك العشارين القساة و يحولهم إلى أشخاص أبرار .

قال أبى : بل يحولهم إلى تلاميذ و مبشرين .. و لعلك لا تعلم أن « لاوى » الذى بدأنا الحديث بقصته قد أصبح « القديس متى » الرسول الإنجيلى كاتب أول سفر من أسفار العهد الجديد .





† فصل « مباركة الخمس خبزات و السمكتين » يكرر مرارا خلال العام الواحد .
† . . و هو أيضا فصل إنجيل « أحد البركة » .
† معجزتان منفصلتان بارك فيهما الرب الخبز و السمك .
† الإستار فى جوف السمكة .
† السمكة فى قصة لرئيس الملائكة ميخائيل .
† الوثنيون عبدوا السمك .
† السمكة فى الفن المسيحى .

فى يوم من أيام الأسبوع الثانى من « الخماسين » طرق باب شقتنا بائع أسماك ، تعود أن يحضر إلينا من وقت لآخر ، عارضا ما عنده من سمك طازج جيد .

و فتحت والدتى الباب ، و بدأ الرجل بقوله : « كل عام و أنتم بخير . . » فقلنا : « و أنت بالصحة و السلامة » . . و أعجبنا السمك ، و اشترينا ، و انصرف الرجل راضيا .

قلت لأبى الكاهن : منذ أكثر من شهرين ، لم ندخل السمك إلى شقتنا !

قال أبى : لقد مضى الصوم الكبير . . و المسيحيون الآن – و إلى

أن يحل صوم الرسل - فى حلٍّ من كل صوم .. حتى صوم الأربعاء و الجمعة .. يمكننا أن نأكل اللحم و السمك الآن بلا قيود .

إن المسيحيين يمتنعون على الأقل فى أيام الصوم الكبير و أسبوع الآلام عن تناول السمك إمعانا فى إذلال الجسد و الإنصراف إلى العبادة .

قلت : إن السمك طعام شهى مقوٍّ ، و يخيل إلىّ أنه - كذلك - طعام مبارك !! ألا تكرر الكنيسة فصل « مباركة الخمس خبزات و السمكتين » على أسماعنا مرارا خلال العام الواحد ؟!

قال أبى : إن الكنيسة تكرر هذا الفصل على أسماع المؤمنين مرارا خلال العام ، لأنه يروى قصة توضح عظمة الرب يسوع ، و كيف أنه - له المجد - يمكنه أن يبارك فى القليل فيصبح كثيرا . لأن بركة الرب هى تغنى و لا يزيد معها تعبا . إنها قصة مليئة بالتعاليم النافعة لكل من يتأمل فيها طالبا المنفعة .

و لعلك لا تعرف - يا ولدى - أن معجزة « مباركة الخمس خبزات و السمكتين » هى موضوع إنجيل كل أحد خامس فى أى شهر قبطى .

قلت : ما معنى هذا ؟!

قال أبى : المعتاد أن يكون هناك أربعة آحاد فى الشهر القبطى ، و هذه لها قراءات رتبتها الكنيسة على مدار السنة . أما إذا احتوى إى شهر قبطى على خمسة أيام آحاد ، فإن الكنيسة تعتبره شهرا مباركا . و تكون قراءات هذا الأحد الخامس مرتبة على موضوع البركة موضوع الخمس خبزات و السمكتين .

قلت : يكون الشهر القبطى محتويا خمسة آحاد إذا وافق اليوم الأول منه - مثلا - يوم أحد ثم يوم ٨ منه ثم يوم ١٥ ثم يوم ٢٢ ثم يوم ٢٩ من الشهر . فالأحد الواقع يوم ٢٩ هو أحد البركة !

قال أبى : نعم . هذا المثل صحيح ، و يمكن أن يحدث هذا أيضا إذا وافق اليوم الثانى من الشهر يوم أحد فيكون يوم ٣٠ من الشهر أحد البركة .

قلت : ما أدق نظم الكنيسة و ما أعظم ترتيباتها !

لى سؤال - بمناسبة الحديث عن مباركة الخبزات و السمك - :

قرأت فى بعض المواضع من بشائر الإنجيل أن البركة حلت على خمسة أرغفة و سمكتين ، و فى بعض المواضع الأخرى أن البركة حلت على سبعة أرغفة و و قليل من صغار السمك . فكيف يكون هذا ؟!

قال أبى : إنهما - يا ولدى - معجزتان ، لا معجزة واحدة ، إنهما مختلفان تماما فى الزمان و المكان و العدد و النتائج و التفصيلات .

فمعجزة الأرغفة الخمسة و السمكتين - و هى المعجزة الكبرى - كانت سابقة للمعجزة الثانية ، و الآكلون فى الأولى كانوا ...٥ ما عدا النساء و الأولاد ، و فى الثانية كانوا ...٤ ما عدا النساء و الأولاد .

قلت : و لماذا يقال باستمرار ما عدا النساء و الأولاد ؟!

قال أبى : لم يكن الأطفال و النساء يجلسون مع الرجال ، و إنما يجلسون أو يقفون بعيدا .

ثم أن المعجزة الأولى امتلأت فيها من فضلات الطعام إثنتا عشرة قفة ، أما فى المعجزة الثانية فقد امتلأت سبعة سلال .

و القفة تصنع من الخوص ، أما السلة فهى من الحبال المجدولة . و كان اليهود يحرصون على اقتناء القفف يحفظون فيها طعامهم لئلا يتنجس . و كان لليهود عيد يسمى عيد القفف . و فى المعجزة الأولى أمر السيد المسيح تلاميذه بأن يجمعوا الكسر ، لا ليظهر عظمة و حقيقة

ما فعله فقط ، و لكن ليعلمنا أن الإسراف كريه و مرفوض حتى فى القوة المعجزية . أما فى قصة مباركة السبعة الأرغفة فإن التلاميذ - من تلقاء أنفسهم - جمعوا الكسر و ملأوا السلال .

قلت : عجيب أن المعجزة الصغرى تأتى بعد المعجزة الكبرى !

قال أبى : كان غرض السيد المسيح عمل الرحمة لا التظاهر بالقوة .

قلت : (حين لمحت والدتى تخرج أحشاء السمك و هى فى المطبخ) لقد تذكرت الآن قصة وردت فى الكتاب المقدس عن الجزية التى طلب اليهود من الرب يسوع دفعها ، فأمر بطرس الرسول قائلا : « إذهب إلى البحر و الق سنارة ، و السمكة التى تطلع أولا خذها ، و متى فتحت فاها تجد إستارا ، فخذه و أعطهم عنى و عنك » .

ما هو الإستار ؟!

قال أبى : هو عملة فضية (أربعة دراهم فضة) كانت شائعة فى أيام السيد المسيح له المجد مع الدينار الرومانى الذى تبلغ قيمته درهم فضة تقريبا .

و كان كل يهودى يبلغ العشرين من العمر يدفع درهمى فضة عن روحه للرب ، و كانت هذه النقود تخصص لخدمة الهيكل ، و يصرف منها لشراء التقدمات و البخور و بقية لوازم الهيكل .

قلت : يا لها من معجزة هائلة !! إن عثور بطرس الرسول على الإستار فى السمكة بعد أن أطاع أمر الرب .. دليل على أن للرب علما بكل دقائق الكون . و أنه - له المجد - عليم بمجرى السمك فى البحر . بل بكل ما يجرى من أمور .

قال أبى : نعم يا ولدى . تبارك إسم الرب و تعالت قدرته .

لقد ذكرتنى يا ولدى بقصة سمعتها منسوبة إلى رئيس الملائكة ميخائيل .

قلت : ألا تقصها علىّ يا أبى ؟!

قال أبى : إنها قصة طويلة يا إبنى . و يكفى الآن أن ألخصها لك فى أن رجلا إسمه دروتاؤس و زوجته تاؤبستا كانا يكرمان رئيس الملائكة ميخائيل ، و يقدمان الصدقات الوافرة إلى الفقراء فى الثانى عشر من كل شهر متشفعين به . و لكن حدث أن امتنع المطر ثلاث سنوات متوالية فحدث قحط و غلاء شديدان . فصلى الزوجان لله ليعينهما على تقديم الصدقات و القربان كالمعتاد رغم البلاء الذى كان موجودا . و يقال أن رئيس الملائكة ظهر لدروتاؤس فى هيئة قائد مهيب المنظر . و أنه ساق إليه خروفا و سلمه سمكة كبيرة وجد فى بطنها ٣٠٠ دينار ذهب أنفق منها على الفقراء كالمعتاد . و انصرف رئيس الملائكة عن بيته بعد أن باركه و ملأه بالخبز بشكل معجزى .

قلت : تبارك إسم الرب . و تبارك خادمه رئيس الملائكة ميخائيل .

قال أبى : و ما أجمل أن يكتسب المؤمنون صداقة الملائكة و رؤساء الملائكة ، الذين يطردون عنهم أرواح الشر و يحفظونهم فى سائر طرقهم .

قلت : بمناسبة الحديث عن السمك ، لاحظت أثناء زيارتى للمتحف القبطى أن الفنان القبطى يستخدم السمكة أحيانا فى أعماله الفنية .

قال أبى : عموما ترمز السمكة عند المسيحيين لمياه المعمودية . لأن السمك لا يعيش إلا فى الماء ، كذلك المسيحى لا يعيش بدون عماد .

كما يرمز السمك أيضا إلى الرب يسوع ، لمن يفهمون اللغة اليونانية ، فكلمة « ايخثيس » كلمة يونانية معناها سمكة . إلا أن حروفها اليونانية تشكل الحروف الأولى من الكلمات اليونانية التى تعنى « يسوع المسيح ابن الله . المخلص » .

و كانت السمكة فى بعض الصور ، تبدو و هى تسبح فى الماء ، مع طبق يحوى خبزا و كأس تحوى خمرا إشارة إلى سر العشاء الربانى . كما يظهر السمك فى صور القديس بطرس لأنه كان صيادا .

و هنا كان السمك قد أوشك أن يتم قليه . فعاونت فى إعداد المائدة لنجلس إليها سويا نتناول من الطعام المبارك شاكرين لربنا خيره العميم .





† للثعالب أوجرة . و أما الرب فعاش فقيرا لم يكن له أين يسند رأسه .
† هيرودس أنتيباس الذى وصفه الرب بأنه ثعلب : طباعه – دوره فى محاكمة الرب – نهايته .
† ما معنى : « خذوا لنا الثعالب الصغار المفسدة للكروم »؟

صحونا مبكرين – أبى الكاهن و أنا – أثناء قضائنا جزءا من العطلة الصيفية فى الريف .

و خرجنا – بعد تأدية صلاة الصباح – لنستمتع بمنظر شروق الشمس فى الحقول . و بعدما أخذنا مجلسنا بين الزروع ، رأينا عند طرف الحقل ثعلبا صغيرا ، ما أن لمحنا حتى أسرع داخلا إلى مسكنه .

قلت : لعل هذه هى أول مرة أرى فيها الثعلب على الطبيعة فى غير حديقة الحيوان . لقد تذكرت الآن الآية التى قالها السيد المسيح : « للثعالب أوجرة و لطيور السماء أوكار و أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) .

قال أبى : نعم يا ولدى . إن السيد المسيح له المجد لم يعش على الأرض غنيا بمال أو ممتلكات . لم يمتلك طول حياته سقفا يمكن أن يقول إنه له . فالبيت الوضيع الذى فى « الناصرة » شاركه فيه عديد من

أقربائه . و حتى المنزل الذى فى كفر ناحوم و الذى طالما تردد عليه لم يكن يمتلكه ، بل كان لأحد تلاميذه .

لم يمتلك عرض شبر من الأرض التى أتى إليها .

و لعل السيد - بهذه العبارة - قد لفت نظر الشخص (الذى تقدم إليه قائلا أتبعك أينما تمضى) - إلى أن من يتبع المسيح لا يتوقع أن يكون مترفها مخدوما من الناس ، أو يكون صاحب جاه و سطوة ، بل إن خدمة الرب تستلزم التضحية .

قلت : تذكرت - بهذه المناسبة - الآية التى قالها الرب عن الملك هيرودس : « إمضوا و قولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين و أشفى اليوم و غدا و فى اليوم الثالث أكمل » (لو ١٣ : ٣١) . و لعل هذه هى المناسبة الوحيدة التى لفظ فيها السيد المسيح مثل تلك الكلمة وصفا لإنسان . إننا لم نتعود إلا أن ينطق الرب بكلمات النعمة الحلوة . و قليل ما صدر منه من كلام الذم . و لا شك أن هيرودس يستحق أن يوصف بذلك ، هل هذا هو هيرودس الذى قتل أطفال بيت لحم ؟!

قال أبى : لقد عهدتك ذكيا ، فكيف تسأل مثل هذا السؤال ؟ لقد عادت « العائلة المقدسة » من مصر بعد أن مات هيرودس ، ألم تقرأ هذا فى الكتاب المقدس . إن إسم « هيرودس » يطلق على أكثر من ملك ، هيرودس الذى قتل الأطفال الأبرياء هو هيرودس الكبير . أما هيرودس الذى وصف بأنه ثعلب فهو « هيرودس أنتيباس » ثانى أبناء هيرودس الأكبر .

كان هذا (الثعلب) رئيس ربع فى الجليل فى شمال فلسطين ، و هو الذى طلب منه بيلاطس البنطى أن يشترك فى محاكمة السيد المسيح و أن يحكم عليه .

قلت : و كيف يستحق أن يوصف بأنه « ثعلب » ؟!

قال أبى : و لِمَ لا يوصف بهذا و هو الماكر الخادع ، الجبان فى وقت الحرب ، المتقلب فى وقت السلم !! لقد كان متزوجا من إبنة الحارث الأمير العربى ، و رغم ذلك فإنه رضى أن تكون امرأة أخيه زوجة له ، مما اضطر الأميرة العربية أن تمضى إلى أبيها فى كرامة ، و شن أبوها على هيرودس حربا ثأر فيها لنفسه و أوقع به هزيمة منكرة .

ثم أن هيرودس هذا هو الذى قتل يوحنا المعمدان الذى حذره و أنذره .

قلت : و كيف يكون هيرودس الثعلب والى الجليل مشتركا فى محاكمة الرب فى أورشليم ، لأن الجليل إلى الشمال و أورشليم إلى الجنوب و بينهما مسافة كبيرة ؟!

قال أبى : لقد جاء كالمعتاد إلى أورشليم إسميا ليحفظ الفصح اليهودى ، و فعليا ليتمتع بأفراح و مباهج العيد فى العاصمة المزدحمة .

لقد فرح جدا هيرودس الثعلب ، حينما قدم إليه بيلاطس ، ربنا يسوع لمحاكمته . تماما كما كان بيلاطس مسرورا جدا بتقديم الرب إلى هيرودس .

قلت : و ما سبب سرور كل منهما ؟!

قال أبى : كان بيلاطس البنطى والى اليهودية ، متحيرا فى أمر الرب يسوع . لقد لمس بيلاطس بعد مناقشته للرب أنه نبيل و برئ ، و لكن اليهود كانوا يضغطون عليه ضغطا شديدا ليحكم عليه بالموت .

فلما سمعهم يذكرون فى اتهامهم : أن الرب يسوع يهيج الشعب .. مبتدئا من الجليل إلى اليهودية ، رأى أن يجامل هيرودس أنتيباس - مع أنه لم يكن صديقه بل كانت هناك شبه خصومة بينهما أساسها الحسد و اختلاف السياسة - و لكن دفعته رغبته فى التخلص من مسئولية الحكم على الرب إلى أن يقدمه لهذا الثعلب !!

قلت : و لماذا فرح هيرودس بملاقاة الرب ؟!

قال أبى : قلت لك منذ قليل أن هيرودس الثعلب قتل يوحنا المعمدان ، فلما اشتهر أمر السيد المسيح ، ظنه هيرودس « يوحنا المعمدان قام من الأموات » . و لعله حين قابله ، فرح لأنه تأكد أن يوحنا المعمدان لم يقم من الأموات .

ثم أن الثعلب كان يتوقع - بعد طول ما سمع عن الرب - أن يرى منه معجزة . و لكن الرب لم يعمل معجزة أمامه ، بل أنه - له المجد - لم يرد بكلمة على أسئلته الكثيرة .

قلت : طبعا ! و ماذا يفيد الكلام مع مثل هذا الرجل القاسى المخادع ؟ و هل حكم هيرودس على الرب ؟!

قال أبى : لا . لقد احتقره مع عسكره . و لكنه سلمه ثانية إلى بيلاطس ، و من ذلك الوقت خفت حدة الخصومة بين بيلاطس و هيرودس .

قلت : تبارك إسم الرب ! لقد كان سيدنا سبب المصالحة بين المتخاصمين حتى فى وقت محاكمته . . ثم قلت : و هل كانت نهاية هذا الثعلب مرة مثل نهاية أبيه الذى حدثتنى عنه يوما ؟!

قال أبى : نعم . لقد اتهم بالخيانة العظمى ، و لم يستطع أن يبرئ نفسه ، فنفى إلى قرب حدود إسبانيا ، و صحبته هيروديا زوجة أخيه إلى هناك حيث مات الإثنان فى ذل و عار .

قلت : لقد طال حديثنا عن ذلك الملك المؤذى ، أرجو أن نرجع إلى الآية التى بسببها تحدثنا عنه ، ما معنى قول الرب : « . . أخرج شياطين و أشفى اليوم و غدا و فى اليوم الثالث أكمل » ؟!

قال أبى : قد تقرأ الكلمة الأخيرة أكمِل أو أكمَل ، و لها - فى

الحالتين - معنى واحد : هو أن السيد المسيح يكمل فداءنا على الصليب بموته المحيى .

قلت : شكرا يا أبى . عجيب أن يتطرق بنا الحديث عن الثعلب إلى كل ما وصلنا إليه ! .

و هنا نهض أبى الكاهن و نهضت معه ، و بدأنا المسير تجاه منزلنا ، و كانت المسافة تكفى لأن أسأل السؤال الأخير فى هذا الشأن و أن أتلقى الإجابة .

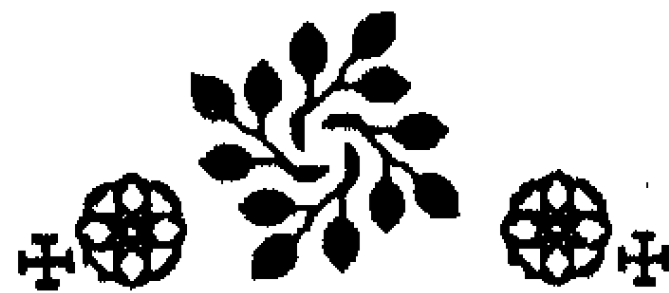
قلت : سمعتك يا أبى، فى حديث مع بعض خدام التربية الكنسية ، تقول أكثر من مرة : « إحذروا الثعالب الصغار المفسدة للكروم » . فما معنى هذا ؟

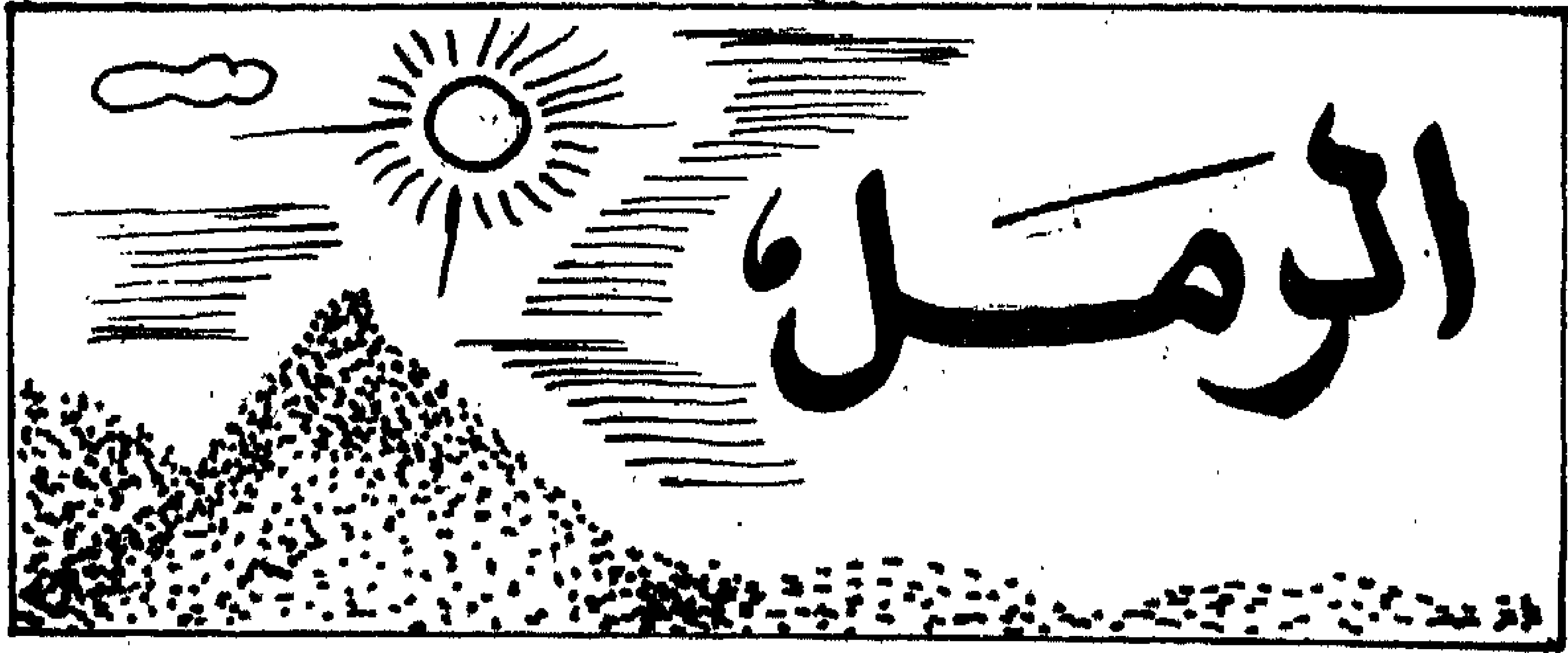
قال أبى : أصل هذه العبارة يا بنى، آية من الكتاب المقدس تقول : « خذوا لنا الثعالب . الثعالب الصغار المفسدة للكروم » (نش ٢ : ١٥) و تطلق عادة للتحذير من الخطايا التى قد يعتبرها الناس خطايا تافهة .

فالمفروض فى الإنسان المسيحى أن يسلك بالتدقيق و أن يعلم أنه لا يوجد تقسيم للخطايا إلى كبيرة و صغيرة أو خطيرة و تافهة .

قلت : الرب يحفظنا من كل خطية و يقدسنا له بالتمام .

قال أبى : آمين . آمين .





† الرمل حد طبيعى للبحر .
† ما هى التخوم ؟
† الرمل مضرب الأمثال فى كثرته و فى ثقله .
† البيت الذى بنى على الرمل .

فى جلسة ليلية هادئة ، شبه منعزلة ، كنا - أبى الكاهن و أنا - على شاطئ « أبى قير » فى نشوة يبعثها النسيم العليل ، و الطبيعة الجميلة ، و ضربات الأمواج على الرمال .

قلت ، و يداى تعبثان برمل الشاطئ : ما أقواك أيها الرمل !!

إن الأمواج لا تزال تلاطمك .. و لكنها لا تكاد تنال منك ، فهى سرعان ما تنحسر عنك فى خجل .

قال أبى ، و على شفتيه ابتسامة : هل أثارك هذا الجو الحالم ، فبدأت تتكلم بالأسلوب الشعرى ؟! و لكن اعلم يا ولدى أن ما ذكرته ليس خيالا . إن الله تعالى قد وضع الرمل على الشاطئ كحد طبيعى تتكسر عنده الأمواج . إسمع ما جاء فى سفر أرمياء النبى: « أنا - يقول الرب - الذى وضعت الرمل تخوما للبحر .. فريضة أبدية لا يتعداها .. فتتلاطم و لا تستطيع و تعج أمواجه و لا تتجاوزها » (أر ١٥ : ٨) .

قلت : ما معنى كلمة « تخوم » ؟!

قال أبى : هى الحدود التى تفرق بين مكان و آخر . و للإيضاح أقول : كان بنو إسرائيل يفصلون حقولهم أحدها عن الآخر بصف من الأشجار أو بكوم من الحجارة يوضع على زوايا الحقل ، هذه هى التخوم . و قد أصدر الرب أوامره إلى بنى إسرائيل بعدم رفع التخوم القديمة ، منعا من اغتصاب حقوق الجار ، خصوصا اليتيم .

قلت : نشكر الله الذى ألجم البحر - كما يقول القداس الإلهى - فلم يدعه يطغى على اليابس . إن طغيان البحر أمر فظيع .. الرب يحمينا منه .

قال أبى : آمين يا ولدى .

قلت : تذكرنى رؤية الرمل دائما بكثرة العدد . ما أكثر ما وردت عبارة : « كالرمل الذى على شاطئ البحر » فى الكتاب المقدس .

قال أبى : إذن دعنا نتذكر سويا المواضع التى ذكرت فى الكتاب المقدس ، و دل فيها الرمل على كثرة العدد .

قلت : ذكر ذلك فى حياة أبينا إبراهيم خليل الله . قال له الرب : « من أجل أنك لم تمسك إبنك وحيدك .. أباركك مباركة و أكثر نسلك كرمل البحر الذى لا يعدّ للكثرة » . و ذكر مثل ذلك فى حياة يعقوب أب الأسباط . قال يعقوب فى أثناء صلاته للرب : « .. و أنت قد قلت إنى أحسن إليك ، و أجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعدّ للكثرة » .

و جاء فى قصة يوسف الصديق : « و خزن يوسف قمحا كرمل البحر، كثيرا جدا ، حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد » .

قال أبى : و ذكر فى حياة سليمان الحكيم : « و أعطى الله سليمان حكمة و فهما كثيرا جدا . كالرمل الذى على شاطئ البحر » .

و يقول داود النبى عن تدابير الرب : « ما أكرم أفكارك يا الله عندى . ما أكثر جملتها . إن أحصها فهى أكثر من الرمل » .

قلت : حقا يا أبى . إن للرب تدابير لا يمكن عدها ، و هو مستعد أن يعطى حكمة للمؤمن . . حكمة فى كل المواقف ، و فهما ينقذه من كل مأزق !

و بهذه المناسبة أذكر أن من الشائع مقارنة خطايا البشر برمال البحر فى كثرتها ، و هى مقارنة غير مستبعدة . . لأن ما نرتكبه من الذنوب كثير جدا لا يحصيه إلا الله ! .

و ذكرت – فى إحدى الترانيم – مناجاة الخاطئ للرب بقوله :

لقــد فاقت خطاياى   رمال الشط فى الكثرة . .
و أمواه البحــار إذا   أريقــت قــطرة قــطرة . .

†-†-†-†

جهالاتى . حماقاتى   لقد أعيى بها ظــهرى . .
تفضـل : نحهـا عنى   و أكمل بالتقى طـهرى . .

قال أبى : لا تضرب الأمثال بالرمل فى كثرة العدد فقط ، بل فى صفة أخرى شهيرة ، هل تعرفها ؟!

قلت : نعم . إنها كثافته ، إن الرمل ثقيل بالنسبة لكثير من المواد ، قرأت مرة فى سفر الأمثال أن : « الحجر ثقيل و الرمل ثقيل و غضب الجاهل أثقل منهما كليهما » . و قال أيوب عن مصيبته : « لأنها الآن أثقل من رمل البحر » .

قال أبى : و أظنك تعرف قصة الأنبا موسى الأسود ، الذى دعى إلى « مجمع » لمحاكمة راهب أخطأ، فأخذ (شوالا) مخرقا و ملأه رملا و حمله على ظهره و أتى إلى المجمع . فلما استغرب الآباء قال : هذه

خطاياى تجرى ورائى لم أبصرها ، و قد جئت اليوم أحاكم أخى ، فلما سمعوا منه ذلك غفروا للأخ .

†-†-†-†

و هنا ، سادت فترة صمت كان هدير الموج يسمع فيها بوضوح إثر هبوب ريح .

فقلت : تذكرت الآن ما قاله السيد المسيح له المجد فى نهاية العظة على الجبل : « .. و كل من يسمع أقوالى هذه و لا يعمل بها يشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر و جاءت الأنهار و هبت الرياح و صدمت ذلك البيت فسقط و كان سقوطه عظيما » .

فقال أبى : الرب يجعلنا من السامعين العاملين لكى نكون عقلاء ، نبنى حياتنا على صخر الدهور ، الرب يسوع ، فلا تهدمنا أمطار البلايا و لا تيارات الشك ، و لا رياح التجارب .

قلت : آمين . آمين .





† الأنفلونزا الأسيوية و الأنفلونزا الإسبانية .
† الكنيسة تصلى باستمرار للوقاية من الأوبئة .
† كان الله تعالى يستخدم الأوبئة لمعاقبة بنى إسرائيل حين تعظم خطيئتهم .
† قد تصاب الحيوانات بوباء . و قد يشمل الوباء الإنسان و الحيوان .
† كيف تظهر محبة الله فى « الضربات العشر » ؟

أجريت هذا الحديث مع أبى الكاهن منذ عشر سنوات تقريبا فى أواخر أغسطس ١٩٥٧ حين كانت الأنفلونزا الأسيوية منتشرة فى مصر .. كان أخى على فراش المرض .. لقد أدركته الأنفلونزا فجعلته طريحا متألما يلتمس الراحة و الدواء .

و بادر أبى الكاهن ، فأجرى له سر مسحة المرضى و دهنه بالزيت ، طالبا من الرب شفاء سريعا .

و بعد أن أتم هذا السر المقدس ، تركناه ساكنا و جلسنا فى غرفة أخرى ، نتجاذب أطراف الحديث عن الأنفلونزا و الأوبئة و العدوى و الطب .. إلخ .

قلت : لقد قرأت اليوم فى الصحف أن وباء الأنفلونزا الأسيوية قد

زاد انتشاره فأصبح عدد المصابين به رسميا يزيد عن ...ر۳۰ !! ربنا يرحمنا . إنى لم أسمع فى حياتى عن وباء « الأنفلونزا الأسيوية » إلا فى هذه الأيام .

فقال أبى : صحيح أنك لم تسمع عن الأنفلونزا كوباء إلا فى هذه الأيام .. و لكن اعلم أن الأنفلونزا قد « زارت » مصر سنة ۱۹۱۹ ، و لكنها لم تصل إلينا من آسيا فى تلك المرة ، و لكنها جاءتنا عن طريق إسپانيا .. و غير الأنفلونزا تعرضت مصر - و قد كنت أنت طفلا - لوباء الكوليرا سنة ١٩٤٧ ، ذلك الوباء الذى حصد كثيرا من الأرواح و اهتزت له البلاد كلها .

قلت : و لكن ، كيف دخلت الأنفلونزا إلى بلادنا ؟ من الوافدين من آسيا ؟ أليست هناك مراقبة و فحص طبى لأولئك الوافدين ، تمنع من نقل العدوى ؟!

قال أبى : هناك مراقبة دقيقة و فحص يسمى « الحجر الصحى » ، و كانت هناك احتياطات شديدة لمنع تسرب الوباء إلينا ، لكنه تسرب برغم هذا . لأن أعراض الأنفلونزا قد تظهر على المصاب بعد ثلاث أو أربع ساعات من تسرب العدوى إليه . و ما دامت الأعراض غير محددة بوقت من الأوقات ، فلم يمكن التحكم فى سير الإصابة التى وصلتنا من آسيا .

قلت : ألا يحسن أن تعقد الكنيسة إجتماعات صلاة لكى يرحمنا الله من الوباء و يرفع غضبه عنا ؟

قال أبى : هذه فكرة جميلة يا ولدى ، و اعلم أن الكنيسة تصلى - باستمرار - للوقاية من الأوبئة .

ففى صلاة رفع البخور فى عشية و باكر هناك صلاة تسمى « أوشية الموضع » يقول فى نهايتها الكاهن : « .. و نجنا كلنا من الغلاء و الوباء و الزلازل و الغرق و الحريق .. إلخ » . و كذلك تذكر هذه العبارة فى قداس القديس أغريغوريوس .

قلت : ربنا يستجيب صلواتنا .. الظاهر أننا بعدنا عن الله .. و لذلك ينبهنا بهذه الأوبئة لكى نرجع إليه .

قال أبى : نعم . يجب أن نرجع إلى الله و نتوب عن كل خطايانا عارفين أن أخطارا كثيرة محيطة بنا من كل ناحية .

قلت : إن الأوبئة تفيدنا من هذه الناحية .

قال أبى : و كانت الأوبئة قديما يستعملها الله لمعاقبة بنى إسرائيل حين كانوا يخطئون .

فمثلا في أيام موسى النبي ، حين تجاسر قوم « قورح و داثان و أبيرام » و أمسكوا المجامر ليبخروا للرب ، (مع العلم بأن هذا مقصور على الكهنة) ، أمر الرب بأن تنفتح الأرض و تبتلعهم . فلما ثار الشعب على موسى النبى بسبب ذلك ، نزل بالشعب وباء أهلك منه الكثير .

و حين أرسل موسى النبى رجالا يتجسسون أرض كنعان ، و رجع الجواسيس و خوّف بعضهم الشعب قائلين : « .. الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها هى أرض تأكل سكانها ، و جميع الشعب الذى رأيناه أناس طوال القامة . و قد رأينا هناك الجبابرة بنى عناق من الجبابرة » (عدد ١٣ : ٣٣) .

و يطول بى الوقت لو حاولت أن أسرد لك كل الحوادث التى ذكر فيها الكتاب المقدس - كيف كان الوباء عقاب المخطئين من بنى إسرائيل .

قلت : و هل يكون الوباء فى الناس فقط ؟

قال أبى : قد تصاب الحيوانات بالوباء ، مثل ذلك الوباء الذى أصاب مواشى المصريين ، فى الضربة الخامسة من الضربات العشر حين هلكت الخيل و الحمير و الجمال و البقر و الغنم (خر ٩ : ٣) . و قد يكون الوباء شاملا الناس و البهائم معا كما قال إرميا النبى لرسول صدقيا الملك : « هكذا قال الرب .. هأنذا أرد أدوات الحرب و أضرب سكان هذه المدينة

الناس و البهائم معا بوباء عظيم يموتون » (إر ٢١ : ٦) .

قلت : على ذكر الضربات العشر . أريد أن أسأل سؤالا يحيرني كثيرا .

قال أبي : و ما هو ؟

قلت : إننا نعلم أن إلهنا رحيم . فلماذا لم يرحم فرعون مصر ؟ لماذا أنزل عليه الضربة بعد الضربة حتى صار عدد الضربات عشرا .. كلها قاسية شديدة ؟!

قال أبي : بالعكس !! إن تلك الضربات (و خصوصا الضربة الأولى) تبين محبة الله لفرعون !! كان الله يريد أن يهديه إلى الإله الحق .

لقد تعود فرعون منذ صغره ، الظن بأن آلهة أمته أسمى ما في السموات و ما على الأرض ، فقد كان يعبد آلهة « الجمال » التي كان يعتقد أنها تسكب من وعائها الخفي مياه النيل المقدس الذي يغمر الأرض بالخصب و الجمال . و كان يعتقد في إلهة « مصدر الحياة و بعثها » التي تمثلها الضفدعة الولود ، التي تنقنق جموعها الكثيرة على شاطئ النيل ، و كان لديه « إله الشمس » العظيم ، الذي تمثله الخنفساء المقدسة ، و كان فرعون يهتم بالكهنة اهتماما كبيرا فكان يحترمهم و يخضع لهم . فكان من المحال توقع تحوله عن تلك الآلهة في أسبوع واحد ، ليخضع لأوامر « الله الواحد » الذي سمع عن إسمه - لأول مرة - من موسى النبي و أخيه هارون اللذين يمثلان أمة عبيد المصريين في ذلك الوقت .

قلت : لو سمحت يا أبي - أريد مزيدا من الشرح في هذه النقطة .

قال أبي : نعم . سأشرح لك :

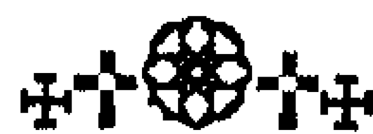
في الضربة الأولى - مثلا - حين تحول ماء النيل إلى دم ، و مات السمك و أنتن ، ظهر عجز إله المصريين « النيل » و كان ذلك ليتنبه فرعون . و في الضربة الثانية ، حين انتشرت الضفادع في كل مكان ، في

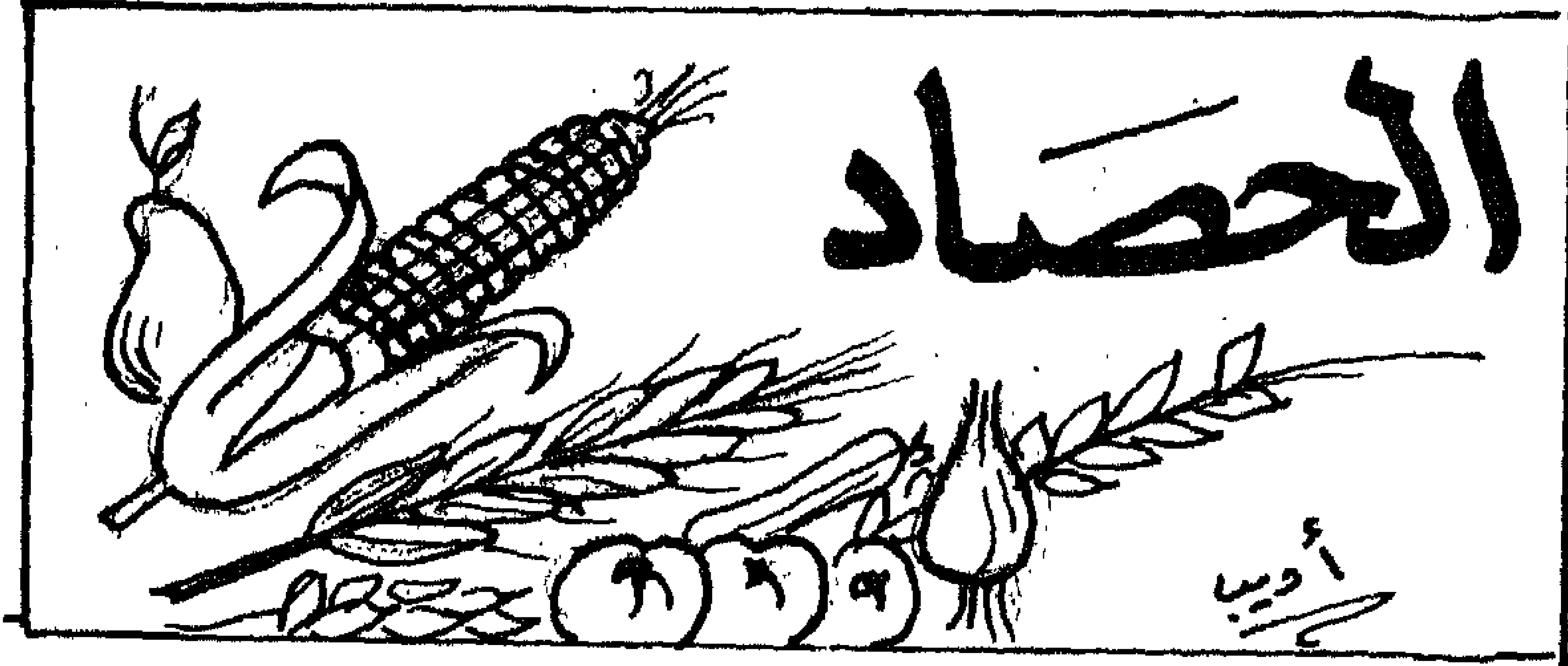
المساكن و على الفراش و فى الأفران .. تعرض ذلك الإله أيضا « الضفدعة » للهزء الشديد حيث اختلطت الضفادع مع العجين و خبزت فى الأفران ، لكثرتها و انتشارها . و فى الضربة الثالثة كان البعوض و القمل على كل الناس و على البهائم . إن هذا الوباء الممقوت لم يكن فى أجسام الكهنة فقط حتى يعيق عبادتهم ، و لكنه كان على البهائم معبوداتهم المقدسة . أما الضربة الرابعة ، ضربة الذبان (و تفسر كلمة الذبان بأنها « الخنافس » لا « الذباب ») فإن صح هذا ، فيجب أن تكون الخنافس نوعا مما يرمز له بآلهة الشمس ، و بهذا يكون معبود المصريين القوى تحوّل عنهم ، و بدأ يعذبهم ، لأنه تلقى أمرا من الإله الراعى لأولئك العبيد (بنى إسرائيل) .

فى هذه الضربات كلها تعرضت آلهة المصريين للعار و الهزء ، و ظهر ضعفها و عجزها ، و كان الغرض من هذا - كما قلت - لفت نظر فرعون لعله يرجع ، و لكنه لم يرجع ، مما دعا إلى إظهار قوة الله بوضوح أشد فى الضربات التالية . مثل ضربة وباء المواشى التى حدثتك عنها منذ قليل ، و ضربة الدمامل و البثور التى وصلت بالطبع إلى مناطق المعابد المقدسة و استقرت فى الحيوانات التى كانت تحفظ بحذر زائد خالية من كل شائبة بصفتها معبودات الدولة ، ثم ضربة البرَدَ (الماء المتجمد الذى قد تزن القطعة الواحدة منه ست أو سبع أوقيات) مع البروق و الرهود التى أتلفت المحاصيل و الأشجار ، ثم ضربة الجراد ، ثم ضربة الظلام الدامس ، و أخيرا ضربة موت الأبكار .

قلت : الآن .. بدأت تتفتح أمامى الحكمة فى حصول تلك الضربات . الرب يحمينا يا أبى من الضربات و الأوبئة و يحمى مصرنا العزيزة - بل العالم كله - من الأنفلونزا الأسيوية و الإسپانية و جميع الأضرار ، و يهدينا إليه ليرحمنا .

قال أبى : الرب يستجيب دعاءك يا ولدى .





† موعد الدرس و الحصاد فى فلسطين .
† معنى « البيادر « و « الأهراء » .
† أين كانت تخزن المحاصيل ؟ الآبار و المغائر .
† عيد الحصاد أو عيد الأسابيع (عيد الباكورة) .
† الفرح و البهجة عند الحصاد .
† معنى « الحصاد كثير و لكن الفعلة قليلون » .

تم هذا الحديث مع أبى الكاهن فى العطلة الصيفية ، حين كنا نمضيها معا فى منزلنا الريفى .

كنا - أبى الكاهن و أنا - نرقب عمليات الحصاد و الدرس فى حقول القمح . و كان جميلا أمامى منظر النورج يجره الثور ، فيكسر بالعجلات الحادة أعواد القمح فيخرج منها الحب .

قلت لأبى : إن فم هذا الثور غير مقفل « بكمامة » ، و لذا فإن بإمكانه أن يأكل من أعواد القمح الموجود أمامه . تذكرت الآن الآية التى وردت فى الكتاب المقدس : « لا تكم ثورا دارسا (أى لا تقفل فمه) . إن الله يرى أن الذى يتعب يستحق أن يأكل من ثمرة أتعابه » .

قال أبى: هذا صحيح. و من الجميل أن الله يهتم حتى بالحيوانات ،

فيصدر لبنى إسرائيل أمرا صريحا بألا يحرم الثور الدارس أن يأكل من الغلة التى أمامه .

و يلاحظ أن هناك تشابها فى موعد الحصاد بين أرض فلسطين و بين مصر . فهو فى الحالتين يقع بين مايو و يوليو من كل عام . و كان يكفى أحيانا أن تذكر كلمة « الحصاد » ، ليعرف أن المقصود هى تلك الفترة من السنة . كما جاء فى سفر يشوع أن الأردن كان ممتلئا إلى جميع شطوطه كل أيام الحصاد عندما عبره الكهنة بمعجزة إلهية (يش ٣ : ١٥) .

و كما يقول سليمان الحكيم : « كالثلج فى الصيف و كالمطر فى الحصاد ، هكذا الكرامة غير لائقة بالجاهل » (أم ٢٦ : ١) .

قلت : و هل كانت الحبوب كلها تحصد فى وقت واحد ؟

قال أبى : لا . بل كان يجرى حصاد الحبوب المختلفة بالتتابع . و لكل نوع إسمه الخاص به . ففى أيام « حصاد الحنطة » أعطى الرب بمعجزة مطرا و رعودا حسب طلبة صموئيل النبى (١ صم ١٢ : ١٧) .

و فى أيام « حصاد الشعير » دخلت نعمى و راعوث الموآبية إلى بيت لحم (را ١ : ٢٢) . و كانت المحاصيل ، بعد أن تقطع بالمناجل ، و تحزم حزما ، كانت تنقل إلى البيادر و الأهراء ، و كانت تنقل أحيانا على عجلات .

قلت : ما هى « البيادر » ؟ و ما هى « الأهراء » ؟!

قال أبى : البيادر هى مواضع الدراس . و الأهراء هى مواضع تجميع الغلال . و كان البيدر يجعل على مكان مرتفع معرض للهواء . يقول الرب عن الشعب الذى يرضى عنه : « فتملأ البيادر حنطة و تفيض حياض المعاصر خمرا و زيتا » (يؤ ٢ : ٢٤)

و عن الأهراء يقول المزمور : « أهراؤنا ملآنة تفيض من صنف فصنف .. » (مز ١٤٤ : ١٣) .

قلت : و بعد دراس الحبوب ؟

قال أبى : بعد دراس الحبوب تذرى . فيجمع التبن فى كومة ، و الحبوب فى كومة أخرى . و أما العصافة (و هى القطع الصغيرة غير النافعة) فإما أن تذروها الريح و إما أن تحرق . و توجد إلى هذا إشارات جميلة فى الكتاب المقدس .

فداود النبى فى أول مزمور له يقول عن الأشرار : « .. لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح » (مز ١ : ٤) . و يقول القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح : « .. سينقى بيدره و يجمع قمحه إلى المخزن. و أما التبن فيحرق بنار لا تطفأ » (مت ٣ : ١٢) . فالقمح هنا يشير إلى القوم الصالحين . و أما التبن فيشير إلى الأشرار الذين سيدخلون فى جهنم .

و بعد تمام الدراس تخزن الحبوب و التبن فى البيوت أو فى آبار جافة أو مغائر .

هل سمعت يا ولدى - بهذه المناسبة - عن « عيد الأسابيع » أو « عيد الحصاد » ؟

قلت : لا .

قال أبى : إنه يسمى أيضا (عيد الباكورة) و كان عيد لليهود يأتى بعد اليوم الثانى لفصحهم بخمسين يوما . و كان - فى الإبتداء - يوم شكر لأجل الحصاد فى البلاد المقدسة . و كانت مدته يوما واحدا .. و كان يقدم فيه رغيفان من الدقيق المأخوذ من الحصاد .

و بعد دمار أورشليم و تشتت اليهود صار هذا العيد معتبرا

و كانوا يزعمون أن الناموس أعطى فى يوم الخمسين بعد خروج الشعب من مصر . و لما سكن اليهود فى بلاد يخالف مناخها مناخ فلسطين بحيث لا يحين الحصاد أثناء هذا العيد ، كانوا يحفظون العيد تذكارا لإعطاء الناموس ، أكثر من اعتباره فرصة فرحة الحصاد .

و لا يزال بعض المسيحيين فى قرى الريف ، يقدمون فى عيد الخمسين المسيحى (العنصرة) من باكورات محاصيلهم للفقراء و المساكين. و لعلهم يذكرون عند ذلك أن عيد الخمسين فى عهدنا الجديد هو عيد حلول الروح القدس ، و هو عيد ظهور ثمار الروح و مواهبه ، و ليس فقط ظهور ثمار الأرض .

قلت : إنى أرى أمارات الفرح واضحة على الفلاحين الذين يحصدون القمح و يدرسونه .

قال أبى : لا عجب فى هذا . فإن جنى المحاصيل أمر مفرح . حتى أن الكنيسة تردد في بعض صلواتها طالبة من الرب : « فرح قلب الإنسان بثمرات الأرض » . و يقول المزمور : « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج » . و يشير أشعياء النبى إلى الشعب الفرح قائلا : « يفرحون أمامك كالفرح فى الحصاد » .

و لا شك أن الذى يجتهد فى الزراعة ، يفرحه الرب فى الحصاد . يقول سليمان الحكيم : « الكسلان لا يحرث بسبب الشتاء ، فيستعطى فى الحصاد و لا يُعطى » (أم ٢٠ : ٤) . أى أن الكسلان يسأل صدقة من الحاصدين فلا يعطونه . و يقول الكتاب المقدس : « .. الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد .. فلا نفشل فى عمل الخير لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل » (غل ٦ : ٩) . أى أن ثمار عمل الخير مضمونة فى الحياة الأبدية .

قلت : تذكرت آية قالها السيد المسيح له المجد ، و أود أن أسمع

تفسيرها و هى : « الحصاد كثير و لكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » (مت ٩ : ٣٧ ، ٣٨) .

قال أبى : المعنى أن الذين يمكنهم أن يخلصوا ببشارة خدام كلمة الله ، كثيرون جدا و منتشرون فى كل الأرض . و لكن الذين يخصصون أنفسهم لخدمة الكهنوت و لخدمة الرب عددهم قليل . فيجب علينا أن نطلب من الرب لكى يزيد عدد المبشرين بالملكوت .

قلت : الرب يزيد من خدامه الأمناء الذين يتسببون فى خلاص نفوس الكثيرين حتى يضم ملكوت الله أكبر عدد من البشر .

قال أبى : آمين يا ولدى . آمين .





† موعد عيد البشارة و علاقته بعيد الميلاد المجيد .
† التغييرات فى « الطقس الكنسى » عند حلول عيد البشارة فى الصوم الكبير .
† لا يحتفل بعيد البشارة إذا أتى فى أسبوع الآلام .
† عيد البشارة أول الأعياد السيدية ، و يرجع الإحتفال به إلى عهد الرسل .
† تأملات فى عيد البشارة .

كنت ألقى نظرة على التقويم (النتيجة) المعلق على جدار حجرة المكتب ، لأعرف موعد عيد القيامة هذا العام . فلفت نظرى أن عيد البشارة يقع فى أثناء الصوم الكبير و قبل عيد القيامة بأقل من شهر ، و لاحظت أن لدى أبى وقت فراغ لأسأله :

قلت : إن عيد البشارة هذا العام يقع فى ٧ أبريل ، و بعد أقل من شهر ستحتفل الكنيسة بأسبوع الآلام .. فكيف يكون هذا ؟ لماذا لا يكون عيد البشارة سابقا لجمعة الصلب و عيد القيامة بوقت طويل ؟!

قال أبى : إن تاريخ عيد البشارة ثابت يا ولدى . إنه فى ٢٩ برمهات من كل سنة للشهداء . و هو يوافق يوم ٧ أبريل من السنة الميلادية .

قلت : و ما الحكمة فى تحديد هذا التاريخ بالذات ؟

قال أبى: روعى أن تكون المدة بين موعد عيد البشارة (٧ أبريل) و موعد عيد الميلاد المجيد (٧ يناير) هى تسعة شهور كاملة . و هى مدة حمل السيدة العذراء بالسيد المسيح . فما دام موعد عيد الميلاد ثابتا ، فإن موعد عيد البشارة يكون ثابتا كذلك .

قلت : و هل الفترة بين عيدى القيامة و البشارة ثابتة أيضا ؟

قال أبى : لا . إنها متغيرة .. لأن عيد القيامة ميعاده متغير . لأنه مرتبط بيوم الفصح اليهودى . يجب أن يكون أحد عيد القيامة بعد الفصح اليهودى . فنحتفل بعيد القيامة بعد احتفال اليهود بفصحهم . و لا نحتفل معهم و لا قبلهم . و هناك قواعد حسابية خاصة لتحديد موعد عيد القيامة .

و بناء على ذلك : قد يأتى عيد البشارة فى أسبوع الآلام ! بل قد يأتى أحيانا بعد عيد القيامة .

قلت : و هل يجوز أن نفطر فى يوم عيد البشارة إذا جاء أثناء الصوم الكبير ؟

قال أبى : لا يجوز الفطر بتناول الأطعمة الدسمة يوم عيد البشارة . و يكتفى بأن تنتهى الكنيسة مبكرة ، و يسمح بتناول طعام الإفطار باكرا (أى لا يستمر الصوم انقطاعيا إلى ما بعد الظهر أو المساء) . و كذلك يكتفى عند تقديم قربان الحمل فى يوم ذلك العيد أن تصلى « الساعة الثالثة » و « الساعة السادسة » فقط . و شأن عيد البشارة فى ذلك شأن أيام الآحاد و الخماسين و سائر الأعياد السيدية .

قلت : ماذا نصلى من ساعات الأجبية عند تقديم قربان الحمل أيام الصوم ؟

قال أبى : نصلى الساعات : الثالثة ، و السادسة ، و التاسعة ، (و الغروب ، و النوم فى بعض الكنائس أثناء الصوم الكبير) .

قلت : ذكرت لى يا أبى أن عيد البشارة قد يأتى فى أثناء أسبوع البصخة . فكيف يكون احتفال الكنيسة به عند ذاك ؟

قال أبى : إذا أتى عيد البشارة فى أسبوع الآلام ، فإنه لا يحتفل به . ذلك أن لعيد البشارة قراءات كنسية نسمعها فى الكنيسة تختلف تماما عن قراءات أسبوع الآلام .

قلت : و ما معنى عبارة « الأعياد السيدية » التى ذكرتها لى الآن يا أبى ؟

قال أبى : الأعياد السيدية هى الخاصة بالسيد المسيح له المجد .

قلت : و « عيد البشارة » هو عيد سيدى طبعا .

قال أبى : نعم . إنه أول الأعياد السيدية .

قلت : جميل أن تجعل الكنيسة يوم تذكار بشارة الملاك للسيدة العذراء بولادة المسيح الرب - عيدا يفرح فيه الشعب ، و يسترجع ظروف تلك الرسالة السماوية الخالدة .. التى بدأ بها إشراق نور السماء على الأرض المظلمة بالشر .

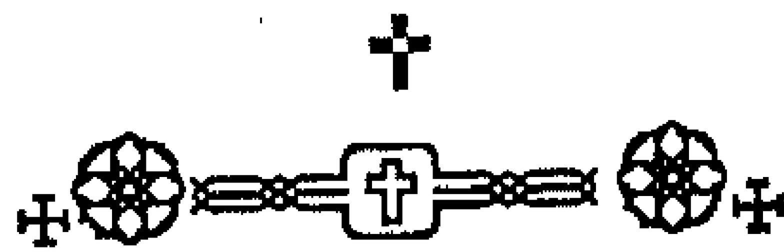
قال أبى : نعم يا ولدى . فإن البشارة جاء بعدها ميلاد الفادى ، و بعد ميلاده كرازته ، و بعد كرازته - له المجد - فداؤه بالصليب ، و بالفداء خلاص الجنس البشرى .

و إذا كانت السيدة العذراء قد استبشرت فى ذلك اليوم و مجدت الله قائلة : « تعظم نفسى الرب و تبتهج روحى بالله مخلصى »

(لو ١ : ٤٦ ، ٤٧) فكيف لا تبتهج الكنيسة و المسيح له المجد لم يولد إلا لخلاصها ؟

إن الكنيسة تسلمت الإحتفال بهذا العيد من الرسل أنفسهم حيث قالوا بالنص : « و أول الأعياد السيدية عيد البشارة من الله سبحانه على لسان جبرائيل الملاك للسيدة مريم البتول والدة المخلّص » .

فلنتأمل - فى ذلك اليوم المجيد - فى أفضال الله علينا و لنشكره من أعماق قلوبنا ، و لننتهز هذه الفرصة المهيأة لنا للتوبة و نوال الخلاص .





† ليس لعيد القيامة عشية .
† لماذا لا تتلى المزامير ليلة العيد الكبير ؟
† شرح طقس تمثيل القيامة . .
† الطـواف بأيقونة القيامة . .
† موعد الإنصراف ليلة العيد .

فى حوالى الساعة الحادية عشر من قبل ظهر يوم سبت النور ، أجريت حديثا مع أبى الكاهن ، و هو الذى أنقله لكم اليوم .

كان أبى قد استيقظ لتوّه من النوم . و ليست عادة أبى أن يستيقظ هكذا متأخرا . و لكن سهره طوال ليلة سبت النور ، و إقامته القداس قرب الفجر ، ألزماه أن يستسلم للنوم فترة يجدد فيها نشاطه ، ليتمكن من استئناف صلوات عيد القيامة المجيد .

و بدأت بقولى : كل عام و أنت بخير يا أبى .

فقال : و أنت بالصحة و السلامة يا إبنى .

قلت : لم تبقَ إلا ساعات قليلة نستكمل فيها استعدادنا للعيد الكبير ، و بعدها نذهب إلى الكنيسة لنحضر العشية و القداس .

قال أبى : عشية العيد الكبير ؟! لا . ليس للعيد الكبير عشية .

قلت : أنا أعرف أن لكل من عيدى الميلاد و الغطاس عشية .

قال أبى : صحيح . و لكن يعتبر قداس سبت النور عشية لعيد القيامة . و لذلك يطلق على هذا القداس [فى بعض الكنائس التى تحفظ الأنظمة التقليدية] يطلق عليه إسم « صلاة عشية أحد القيامة » . . و قد يطلق عليه إسم « صلاة مساء يوم السبت الكبير » .

قلت : كيف يسمي « صلاة مساء يوم السبت الكبير » علما بأن الكنيسة تقيمه عند شروق الشمس ؟

قال أبى : كانت الكنيسة - أيام مجدها الروحى القديم - تستمر فى أداء صلوات سبت النور إلى ما بعد الظهر !! و الدليل على ذلك ما ورد فى كتاب « جلال و ترتيب أسبوع الآلام » من تحذير يقول : « ليحترس (الشعب) غاية الإحتراس أن يكون التناول (فى قداس السبت) قبل الغروب ، لئلا يتناولوا مرتين فى ليلة واحدة ، و معاذ الله من ذلك » . . و معنى ذلك أنه إذا انتهى قداس يوم السبت الساعة الثانية بعد الظهر ، فيتحتم أن ينتهى قداس عيد القيامة الساعة الثانية صباح الأحد ، و إذا انتهى فى الثالثة فيكون انتهاء قداس القيامة فى الثالثة صباحا . و على أى حال ، فلا يقل الفرق بين القداسين عن تسع ساعات . ما أروع احتفال الكنيسة بعيد القيامة . . إن له ترتيبا جميلا خاصا به .

قلت : هل تذكر لى يا أبى بعض ما يختص به عيد القيامة من ترتيبات كنسية ؟

قال أبى : يبدأ ترتيب عيد القيامة بقراءة إنجيل القديس يوحنا بالقبطية و العربية ، ثم يلف الإنجيل بستر أبيض ، و يحمله كبير الكهنة ، و يطوفون الكنيسة مرتلين بلحن : قوموا يا بنو النور، و المزمور الخمسين، و مديح القيامة : « ننظر قيامة المسيح ، و نسجد للقدوس يسوع . . »

ثم تقال قطع من المزامير تناسب قيامة المسيح . ثم تقال التسبحة مع قطعة خاصة بعيد القيامة : « .. المسيح إلهنا قام من الأموات و هو باكورة الراقدين .. إلخ » ثم تصلى صلاة باكر . و بعدها يقدم الكاهن قربان الحمل و لكن من غير أن تصلى المزامير .

قلت : و لماذا لا تصلى المزامير ؟

قال أبى : ماذا تظن السبب ؟

قلت : أظن السبب هو أن المزامير بها من العبارات و النبوءات ما لا يتفق مع أناشيد المجد و ترانيم بهجة القيامة .

قال أبى : هذا سبب معقول ، يضاف إليه أن الإحتفال بالعيد يتم ليلا ، و هو موعد لا يتناسب مع تذكارات صلوات المزامير . فصلاة المزامير المسماة بالساعة الثالثة تذكار لحلول الروح القدس على التلاميذ ، و صلاة الساعة السادسة و صلاة التاسعة تذكار صلب الرب .. و هكذا ، لا يتناسب كل هذا مع ذكرى القيامة المجيدة .

قلت : ما أدق نظم كنيستنا !

قال أبى : و بعد تقديم قربان الحمل تستمر الصلاة كالمعتاد فى كل قداس لغاية الإبركسيس (فصل أعمال الرسل) . ثم يقفل باب الهيكل و تطفأ الأنوار ، و تدور المحاورة التى تدل على انتصار الرب على الموت و قواته .

قلت : إذا سمحت يا أبى . أرجو شرحا وافيا لطقس إطفاء الأنوار ، و غلق أبواب الهيكل .. و المحاورة .. إلى آخر ذلك .

قال أبى : إن هذا تمثيل للقيامة : يقف رئيس الكهنة أو الكاهن فى داخل الهيكل ، و كاهن آخر أو شماس خارج باب الهيكل .. و ينادى كل

منهما الآخر ببشارة القيامة لإذاعتها ، و هما فى هذا يمثلان موقف الملاك الذى كان من داخل القبريبشر النسوة خارج القبر و يقول لهن : « قام المسيح » . . و بعد ذلك يتلو الكهنة من الخارج و الداخل ترنيمة الظفر التى ترنم بها داود النبى متنبئا عن قيامة المسيح حينما يقول : « إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم . و ارتفعى أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد . مَن هو هذا ملك المجد ؟ الرب العزيز القدير . الرب القوى فى الحروب . الجبار فى القتال . إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم و ارتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد . مَن هو هذا ملك المجد؟ رب القوات . هذا هو ملك المجد . هلليلويا » (مز ٢٤ : ٧ - ١٠) .

قلت : و ما معنى هذا الكلام ؟

قال أبى : فى هذه التسبحة توضح الكنيسة موقف المسيح الذى بقيامته انتصر على قوات الجحيم و الشيطان ، و منح الخلاص للمؤمنين . فبعد رجوعه من عمله العظيم ، ترنم الكنيسة له هذه الترنيمة ، كما تنشد أمام الملك الظافر ترانيم الفرح و الغلبة .

و لهذا تفتح الأبواب بقوة ، على مثال الحجر الذى دحرج عن باب القبر . و تضاء الكنيسة كلها بالأنوار على مثال النور الذى أشرق من قبر المخلص . « فمن خوفه ارتعد الحراس و صاروا كأموات » (مت ٢٨ : ٤) .

قلت : شكرا يا أبى . لقد فهمت . و أنا أعرف أن الشمامسة بعد ذلك يطوفون حول المذبح حاملين أيقونة القيامة ، ثم ينزلون من المذبح و يطوفون بالكنيسة ثم يعودون إلى الهيكل .

قال أبى : كم تظن مجموع هذه الدورات ؟

قلت (بعد تفكير قصير) : أظنه سبع دورات . ثلاث حول المذبح أولا ثم ثلاث داخل الكنيسة . ثم دورة واحدة بعد العودة إلى الهيكل .

قال أبى : هذا صحيح . و لكن هل تعرف لماذا كانت الدورات سبعا ؟

قلت : لا .

قال أبى : إنها إشارة إلى أن السيد المسيح بموته و قيامته حطم أبواب الجحيم ، كما طاف يشوع بن نون و الكهنة حاملين الأبواق حول سور أريحا سبع مرات فسقط السور ، و دفعت أريحا إلى يدى الشعب . و يلاحظ أن الطواف بالأيقونة يتكرر فى أى يوم من الخماسين حتى مدة ٤٠ يوما . و هى المدة التى ظل السيد المسيح يتردد فيها بعد قيامته المقدسة ، على تلاميذه القديسن و المؤمنين قبل أن يصعد إلى السماء ، و ابتداء من الصعود يبطل الطواف بالأيقونة .

قلت : و هل يقرأ الإنجيل بعد ذلك الطواف فى ليلة العيد و يكمل القداس كالمعتاد ؟ أم بقيت طقوس تنفرد بها الليلة المجيدة ؟

قال أبى : بقى شئ قليل : بقى أن الكنيسة - بعد انتهاء قراءة إنجيل العيد قبطيا و عربيا - تسمعنا تلخيصا جميلا شاعريا لموضوع القيامة . يقول : « نوّر نوّر يا جبل الزيتون : أضيئوا و نوّروا أيها الرسل الأطهار لأنه قد أشرق نور القيامة .. نوّرن و أضئن أيتها النسوة حاملات الطيب .. إلخ » .

و بقى أيضا أن القداس يكون عادة قداس القديس أغريغوريوس .

و أخيرا تقال ترنيمة حلوة بطريقة كنسية معروفة : « كل الصفوف .. السمائيين و الأرضيين ، الملائكة و الناس ، يرتلون بابتهاج .. المسيح قام و أنعم علينا بالحياة الدائمة إلى الأبد .. أيها الجند لا تكذبوا من أجل محبة الفضة .. إلخ .. » .

ثم ينصرف الشعب إلى المنازل فرحا سعيدا ..

قلت : و هل لإنصراف الشعب ليلة العيد ميعاد محدد ؟!

قال أبى : نصت القوانين على أن يكون الإنتهاء من القداس عند صياح الديك . و من الخطأ إنصراف الكنائس فى منتصف الليل أو قبله .

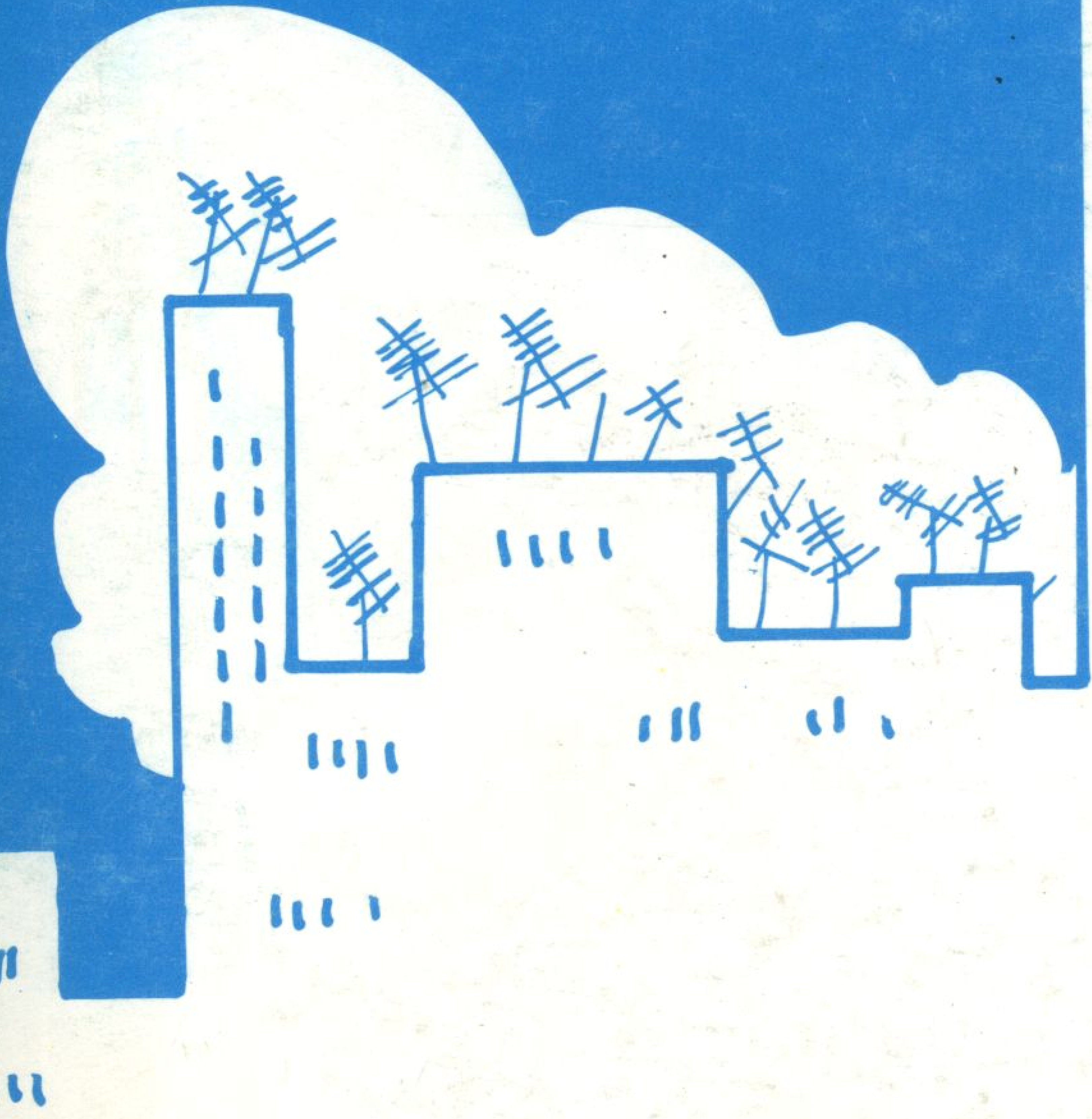
و الحكمة فى ذلك مراعاة الوقت الذى قام فيه السيد المسيح ، فقد كان الوقت باكرا فى فجر الأحد كما يشهد كاتبو الأناجيل .

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٥٣٨ / ١٩٨٨

الترقيم الدولى ٥ - ١٢٨ - ١٨٧ - ٩٧٧



طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة
ت : ٩٣٥٧٥٦





A BOOKSHOP

مكتبة المحبة

٢١ ش البعثة بجزيرة بدران - شبرا - ت ٧٧٧٤٤٨ - س.ت ١٤٧٠٧١ - ص.ب ١٢ قصورة الشوام